فاروق صالح باسلامة



# رؤية ثقافية

## كلمات في مقالات تتناول مواضيع ثقافية بمنظور فكري إسلامي

طبعة جديدة منقّحة ومزيدة

دار الحرف العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾

صدق الله العظيم

# الإهـــداء

إلى عزيزتي ورفيقة درب الحياة..

إلى زوجتي..

وإلى أعزائي أفلاذ كبدي أولادي

عمر وأسامة وإياس وابنتي بلقيس تقديم إكرام وإعزاز

**فاروق**

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد

هذه تجربة تأليفية جديدة أقدمها في رؤية نحو الثقافة (الأصالة والمعاصرة) تتصور موضوعها بمنظور الفكر الإسلامي وتراث الأدب العربي والثقافة الإنسانية عامة، انطلاقاً من مطالعاتي القرائية لكتب هذه الآداب والثقافات في جو أملاه الفكر وأدّبه الوجدان واستحسنه الذوق راجياً تقديم فائدة مكسبة معنوياً لقراء الأمة المسلمة خاصة: (الشباب والناشئة)..الأجيال الحاضرة والقادمة.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ويجعله وسيلة خير لمؤلفه في الدارين.

**فاروق صالح باسلامة**

**مكة المكرمة ٢/١١/١٤٠٦هـ**

**٩/ ٧/ ١٩٨٦م**

# التفوق الثقافي

المثقف مفكر أدّب ذاته وهذّب نفسه وفتّق ذهنه ليعطي فهمه للحياة ويسمعه الناس - بضم الياء - ويجيء المتلقي لهذه الثقافة يستوعبها في فكره ويستودعها فؤاده والرائد لا يكذب أهله، لذا فالمثقف الواعي والأديب الذكي هو الذي يلزم تفكيره المنهج العلمي في ثقافته، والأسلوب الفني في ثروته الأدبية الحية، والطريقة السوية في عقله. من هنا تأتي ريادة المثقف ويجيء تفوقه في الحياة الأدبية والعالم الثقافي ودنياه العلمية..وقد لا يلتزم بعض المثقفين بالسلوك الأخلاقي في أدبهم الفني وهنا تتقلص قيمهم العلمية والفكرية حيث يفقدون الدعامة الروحية والقيمة الذاتية والأساس المعنوي في ثقافتهم. وهم مع ذلك يجدون من يعجب بهم ويصفق لهم، وهنا يجيء المثل منطبقاً عليهم تماماً حيث يقول «وافق شن طبقة» أو قولهم «الطيور على أشكالها تقع» وليس سوى الحظ وسوء الطالع وراء شهرتهم وذيع صيتهم!! والعجيب في الحياة الثقافية أنك قد تجد من يغرك بمنطق أدبي خلاب وليس من وراء الأكمة شيءكما يقول المثل أو قولهم أسمع جعجعة ولا أرى طحناً!! ومع هذا يجد

من يستمع إليه ويتتبع إنتاجه الضحل وثقافته الفجة. وبالعكس تماماً فإنك قد تجد مثقفاً ملتزماً هو من الوعي بمكان ومن الأسلوب بأدب جم ومع ذلك لا أحد يصغي إليه أو يذكره بخير.. ولله في خلقه شؤون.

والواقع أن المثقف الأخير متفوق في ذاته على عصره وزمانه بل على المجتمع الذي لم يقدره حق قدره.. والمثقف الأول إنسان زائف الفكر فاقد الأصالة ومعدوم القيمة المعنوية والحيوية الأصيلة في الأدب والعلم والفن والفكر، ولست أدري كيف يحرم بعض المثقفين نعمة الالتزام والنهج الفكري السليم وحرية الضمير وعلو الذات الإنسانية وحيويتها الروحية وسموها وثباتها الأخلاقي؟ كيف ينسى هؤلاء أن الثقافة قيم حية في النفوس المرزوقة بنعمة المروءة والإنسانية والضمير الشريف، ثم ينهجون مسلكاً زائفاً أو خرباً مؤداه الباطل والزيف وسوء الطوية وانعدام الروح اليقظى في بشريتهم وإنسانيتهم ومروءتهم؟

لا يضمر السوء وإن طال الجلوس به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

كما يقول ابن الأحنف عليه رحمة الله..

وإذا كان هناك تفوق مع هؤلاء فليس سوى المادية والانتهازية والشعوذة الفكرية ليس إلاّ!! إن التفوق الثقافي الحق في الالتزام الأدبي والنهج الفكري السليم والمسلك الروحي الأخلاقي الثابت... والتفوق الأدبي في الثقافة الواسعة العريضة والعلم النافع والأدب الحي الضمير والحسن الطوية والفكرة الراشدة. .إنه التفوق الفكري والنبوغ الحيوي والعبقرية العقلية الخيرة التي تسترشد بالحق وتتخذه لواءً لها في درب العلم والفكر والثقافة وعالم الفن والأدب والحضارة المعنوية الجميلة..

إن الالتزام فوق الزيف وإن الحق ليعلو على الباطل إن الباطل كان زهوقاً. وإن الانحراف في الزيف والباطل في سوء التثقف والفساد في الغزو الفكري.

أما روافد الخير من الثقافة الملتزمة من أي جهة إيجابية فالترحيب بها لازم واستقبالها واجب ثقافي رفض المزيفون أو لم يرفضوا شاءوا أو أبوا!!

لقد تفوق الفكر الإسلامي والأدب العربي بسبب الثبات الأخلاقي والأصالة، والالتزام بالحق والخير والجمال وتوخي الحقيقة في تراثه وثقافته وعلم ذويه.. ويوم كان الالتزام الإسلامي في الحياة شيدت الحضارة الإسلامية وعلا الفكر والأدب العربي.. وذاع صيتهما في الآفاق العالمية والرحاب الدنيوية وظهر أثرهما في الدول جمعاء.

هنا كان التفوق الثقافي الحق والعلو العلمي والسمو الأدبي.. ومن هنا حدث المجد.. وازدهر العرب والمسلمون وتقدم علمهم وأثرت حضارتهم وعلا صيتهم، وهنا كان التراث وكانت الأصالة مع معاصرة دول العالم لذلك جميعه وكله وسائره.. وما تاريخ معاهد وجماعات الأندلس إلا شواهد ناطقة على هذا القول..

إن التفوق الثقافي قد يعيد نفسه، كما أن التاريخ كذلك، ولكن ما هو حاضر متفوق بحسب دبيب الحياة الإسلامية في الفكر العلمي وعند الملتزمين من المفكرين والمثقفين هنا وهناك في مختلف بقاع الأرض وتحت كل سماء..

إنما الرابطة الجامعة هي ما نحن معوزون.. والرباط الوحدوي هو ما ننشده في عالم المثقفين ودنيا الأدباء وحياة الفكر والأدب.. فهل نحن فاعلون..؟

هل نقوم بالالتزام في إنتاجنا الثقافي والعلمي والأدبي وتتلاشى الزيوف ويضمحل الباطل في عالم الثقافة؟ إن تنظيف ساحة الأدب والثقافة من الفجاجة والبطلان واجب ومطلب ثقافي ملتزمون به أو هكذا ينبغي ويكون ويجب!! والتفوق علينا تشجيعه وإعلاؤه، التفوق سواء في الإنتاج الإيجابي أو الإبداع العلمي أو الاختراع الحضاري في دنيا الثقافة والعلم والأدب والفكر، علينا تبني الحق والجمال والخير في الفكر الإنساني والأدب الثقافي والعلم الفني. علينا «أسلمة» الثقافة الأدبية وإلزاميتها ونهجها الراشد السليم والتخطيط المنظم الدقيق لها في عالم النظريات والأفكار والمعاني والنظم والقيم. إن هذا رسالة فكرية أدبية ثقافية علينا أداؤها وتنفيذها، فكلنا في عالم الثقافة مسؤولون وكل مسؤول عن رعيته.. إن رعايتنا للفكر والثقافة مسؤولية في حد ذاتها وواجب إسلامي يحتمه المبدأ الإسلامي العلمي في الحياة المعنوية الحيوية الصحيحة الصواب..إن التفوق واقع في أصالة الثقافة وسمو الأدب الإسلامي والفكر العربي والتراث الحي، والتفوق الثقافي حاصل في الثقافة العربية والفكر الإسلامي وحضارته.. والانتهاج في دروب الحق والخير والجمال في معنويات الأدب والثقافة لمنهج راشد سليم علينا المضي فيه قدماً والسير معه إلى هدفنا المنشود، وعندها تتأصل ثقافتنا المعاصرة ويتفوق فكرنا ويسمو أدبنا وعلمنا. فهل نفعلها أسلوب ثقافة وأدب ونهج تفكير علم وخطة حضارة معنوية حقيقية في ذاتنا وأنفسنا وضمائرنا؟ إن التوق يحدو وإن الآمال تستصرخ ورحم الله ابن معدي كرب الزبيدي حيث يقول:

ولو أن قومي أنطقتني رماحهم    نطقت ولكن الرماح أجَرَّتِ

# النبوغ الأدبي

إن الثقافة والتفكير الإنساني والتعلم عناصر للإبداع، ومجالات للنبوغ، ومداخل إلى دنيا العلوم والفنون والآداب، وهي الأسباب الأولى للمعرفة الحقة بالثقافة الإنسانية وأدبها وفكرها... وفي تاريخ تراثنا العربي الإسلامي مسرح للنظر في هذا الأمر ومجال للتطلع فيه والتدبر منه والرجوع إليه، والتاريخ شاهد عظيم على العظماء ومثير للعجب من النبغاء والأذكياء ممن حباهم الله نعمة الاستيعاب والوعي والإدراك بالإضافة إلى اللطافة في القول والسرعة في الإجابة وحسن البداهة في هذا وذاك.. لقد روى كثير من الكتب قصصهم ولطائفهم الأمر الذي يجعل للسلف تاريخاً وللخلف عبرة وللمستفيدين دروساً ومفاهيم ومحفوظات.. إنها معلومات طريفة ومعارف لطيفة تشكل ذخائر تراثية وفوائد تاريخية عن العظماء من الرجال والأذكياء من الأطفال... وهناك مواقف رائعة في تلك المعلومات وهذه الطرائف تدل على جوانب عديدة من التفكير الإسلامي والأدب العربي والفكر الإنساني عند أولئك العظماء الذين رزقوا الاطلاع والخبرة والمهارة في القول والفكر والعمل..

وما زادهم ذلك إلا معرفة واتصافاً بالجميل ولطفاً في السلوك.

ويعتبر النبوغ الأدبي ثمرة النضج الفني عند المثقف والمستوى الأدبي الذي بلغه هذا الأديب عن جدارة. والنبوغ قديماً معروف عند الشعراء والأدباء العرب حتى لقد لقب العديد منهم بالنابغة، والنابغة عندهم هو الذي برّز بتشديد الراء مع فتحها في الشعر والأدب بعد سن الأربعين كالنابغة الذبياني والنابغة الجعدي وغيرهما، وليس النبوغ الأدبي ذكاء أو لباقة فحسب، بل إنه عبقرية وإبداع وإتيان بالجديد لما لم تأت به الأوائل كما قال المعري:

وإني وإن كنت الأخير زمانه    لآت بما لم تستطعه الأوائل

قالوا وسمعه غلام فأراد تحديه قائلاً له: إن العرب قد جاءت بثمانية وعشرين حرفاً في لغتها فأضف أنت شيئاً، وكان الغلام حاد الذكاء، فعجز المعري عن إجابته وقال هذا الغلام يموت قريباً فمات.. والغلام صغير السن ومع ذلك غلبه النبوغ، ومثله ابن عامل الخليفة عندما زارهما الخليفة في الدار فسأل الخليفة الغلام قائلاً: أيهما أجمل قصر الخليفة أم داركم؟ فأجابه الغلام: دارنا ما دام فيها الخليفة.. وهذا نبوغ مبكر زاده الذكاء وثروته اللباقة والكياسة.. إنها موهبة من الله وهبة فطرية في النفس، والنبوغ عند الأدباء قائم بذاته ويتسم بالعجيب والطريف، وهو فطري الأصل مكتسب بالخبرة يجيء ذكياً لبقاً متوفراً بالعناصر الفنية والعلمية والأدبية شاملاً لها متفنناً بها وفيها. إن النبوغ الأدبي تدعمه الثقافة والذاكرة القوية والحافظة الواعية التي تفهم وتستوعب، والرواية لدى النابغين من الأدباء والمثقفين أمر شائع ويكفيك بالأخباريين من علماء اللغة والثقافة العربية كالأصمعي وخلف الأحمر وأبي عبيدة وابن الأعرابي وغيرهم. إن هؤلاء بوفرة الموهبة الفنية والثروة العلمية والصفة الأدبية استطاعوا الوصول إلى ذروة النبوغ الأدبي في الثقافة والعلم

والفكر وإنك لتجد لطائف معرفية عديدة في كتب الأدب واللغة وسائر الفنون تصف النبوغ والذكاء والعبقرية وتتقصّى الأخبار الطريفة والمعلومات والمواقف الشخصية للعلماء والأدباء والنحاة والمثقفين، وفي كتب الأوائل للسيوطي والعسكري والطبراني وغيرهم أخبار النبوغ من بني آدم كالأنبياء والعلماء والأمراء والنبلاء الذين استطاعوا الإبداع لأول مرة في الأمور والقضايا التي تزخر بها الحياة. إن في هذه الكتب عن الأوائل سرداً بالنبوغ في مختلف المجالات العلمية والثقافية والحياتية، والاطلاع عليها واجب للذين يجدون في أنفسهم نوعاً من الموهبة ففيها درس لهم وعبرة.. ومن الطرائف في النبوغ الأدبي أن الخوارزمي وهو أبو بكر الأديب أراد زيارة الصاحب بن عباد فذهب إليه في مقر الوزارة وقال للحاجب قل للوزير بالباب أديب يريد زيارتك.. فذهب الحاجب وأخبر الصاحب فقال له أخبره أنني لا أستقبل إلا الأديب الذي يحفظ عشرين ألف بيت من الشعر، فرجع الحاجب وقال ذلك للخوارزمي الذي قال له فوراً اسأله من شعر الرجال يريد أم من شعر النساء، فعرف الصاحب ابن عباد أنه أبو بكر الخوارزمي وقال لحاجبه أدخله.. ولا شك أن الخوارزمي أديب ذواقة حافظ ويروي الشعر بكثرة حتى لتجده يتحدى الصاحب في حفظه، يريد من شعر الرجال أو من شعر النساء، فهو على استعداد في الحالتين للإنشاد.. وطرفة أخرى ذكرها الدكتور زكي مبارك في كتابه «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» وهو يتحدث عن نبوغ بعض الأدباء فيروي أن طه حسين كان يردد عبارة لازمته طوال محاضراته الجامعية بكلية الآداب بالقاهرة وهي قوله انتهينا في المحاضرة السابقة. وذات يوم أراد أن يبدأ محاضرته فسمع أحد الطلاب يقول: انتهينا في المحاضرة السابقة، وهنا قال طه حسين على البديهة: «قلنا في الدرس الماضي» مبدلاً بها تلك

التي قالها الطالب مردداً ما اعتاد أن يقوله أستاذه الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي. فمثل ذلك يدل على نضج أدبي وفني وعلمي في الحافظة الفكرية لدى هؤلاء وأمثالهم من النوابغ في أدبنا العريض التاريخ والعريق السيرة، وفي ثقافتنا العربية الإسلامية أن الشباب في الثقافة في احتياج إلى محك ثقافتهم بمثل هذه القصص والطرائف التي تبصرهم على النبوغ والنوابغ من المثقفين والأدباء والعلماء. والأهم من ذلك الكيفية التي اجتمعت لديهم في النبوغ وحيثيته الإنسانية والتحصيلية والاجتهادية، فما تم ذلك إلاّ بمجالسة رجال الأدب والثقافة والعلم والاطلاع على كتب سواهم من العلماء والأدباء والمفكرين ودواوين الشعراء وكتب الأخبار واللغة وذلك إلى جانب الرغبة والإرادة وحب الثقافة والأدب والفكر. فالنبوغ له اجتهاد وتعلم وتحصيل وسعي إلى العلم وطلبه بصدق وحب وإخلاص وإرادة شخصية وصبر على الجهد والتعب، بعدها تكون الحصيلة الجديدة والنتيجة الناجحة والسمعة الطيبة..

# من أدب التاريخ الإسلامي

أدب التاريخ مجال للعلم والمعرفة وميدان للأدب والثقافة والفكر وهو عموماً فني المنزع جميل التعرف وفكري الثقافة. أما في خصوصيته للتاريخ العربي الإسلامي فهو عذب القصص طري الفكرة جميل المعرفة. وللعرب والمسلمين في تاريخهم عبر أدبية ودروس فكرية وتجارب ثقافية. فأدب تاريخهم حافل بالطرائف.. مليء باللطائف جم الفوائد غزير المكاسب.. إنه يحفل بالقصص عن علمائهم ومفكريهم ورجال الثقافة فيهم وأرباب العلم والبيان والفكر والفن. إن في التاريخ الإسلامي أدباً وفكراً وثقافة وهذه الجوانب العلمية هي التي تكسبه خلوده وبقاءه وسر مديته مدى الأزمان والدهور، لأن الفكر الإنساني يرحب بالمعلومات ويستقبل المعارف ويهش للمعاني والأفكار.. أما التاريخ - تاريخ غيرهم المليء بالأحداث والحروب وأنباء الكوارث فقط - فهو تاريخ جاف لا أدب يزينه ولا فكر يقويه ولا ثقافة تشد وتجذب إليه قارئه، إنه تاريخ عام بلا خصوصية وسردي بلا منطقية.

أما التاريخ العربي المسلم فيضم الأدب الراقي والفكر النيِّر والثقافة الرشيدة، وله مزايا حسنة وقيم ثمينة ومبادئ سامية. إنه أدب

التاريخ الناضج المليء عبراً ودروساً وتجارب وعظات. إنه التاريخ الأدبي الجاد الحيوي الجميل العذب المنال. إنه التاريخ الثقافي الرشيد الملتزم. إنه تاريخ الفكر الأدبي الخالد، وهو بكل هذه المزايا والصفات أدب تاريخ حي نابض متحرك، أدب العرب المسلمين وتاريخهم المضيء النيّر المشرق.

ومن الملائم تناول شيء من هذا الأدب التاريخي كوجبة ثقافية في هذا الحيز الجميل. إن التاريخ يروي عن الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو صاحب عروض الشعر واللغوي والعالم الجليل أنه صاحب عقل أكبر من علمه، وأن عبدالله بن المقفع الأديب البليغ صاحب الأدب الكبير والأدب الصغير وصاحب كليلة ودمنة علمه أكثر من عقله. قالوا وسبب موت كل منهما يشهد على هاتين الصفتين للرجلين معاً، فقد توفي الخليل بن أحمد وهو يدور في مسجد بينما كان يفكر في إنشاء حساب للجواري والغلمان حتى لا يبخسهم البقالون، صدمته سارية فمات على الفور. أما عبدالله بن المقفع فسبب موته أنه كتب العهد الذي كان بين أبي جعفر المنصور وأعمامه وشدد فيه كأن قال مستطرداً: هذا، وإذا رجع المنصور عن ذلك فنساؤه طوالق ودوابه حبس - بضم الحاء وتشديد الباء المفتوحة - فلما علم المنصور أن ابن المقفع هو كاتب صيغة العهد بعثه إلى سفيان عامله على البصرة وكان هذا طويل الأنف فكان ابن المقفع إذا دخل عليه يقول له السلام عليكما كناية عنه وعن أنفه الطويل، فأضمر ذلك حتى إذا جاءت إرسالية المنصور نكل العامل سفيان بابن المقفع، ويقال إنه قطعه بالسكين وأحرقه بالنار. ومن هذه الحادثة الأدبية ننتقل إلى طرفة لأحد النحاة ابتكر بيتاً من الشعر مفاده:

ونحوية ساءلتها اعربي لنا
حبيبي عليه الحب قد جار واعتدى

فقالت حبيبي مبتدا في كلامه

فقلت لها ضمّيه إن كان مبتدى

* * *

أما بديع الزمان الهمذاني وهو صاحب المقامات المشهورة فقد ذكر التاريخ أنه كان جيد الخط متفنناً فيه وكان ينسخ كتبه بقلمه، ويقال إنه كان يكتب الكتاب إنشاء من آخره إلى أوله. ومن المواقف الأدبية عن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أن الصاحب بن عباد كان كلما ارتحل من بلد إلى بلد يصحب معه كتباً في ركب من الإبل، فلما وصلته نسخة من هذا الكتاب استغنى عن تلك الأحمال والأسفار. إن أدب التاريخ الإسلامي أدب قيم جميل مليء بالثقافات، فقد وقفت في ترجمة مالك بن دينار التابعي الجليل أنه مستجاب الدعاء، فمرة جاءته امرأة حامل من أربع سنين ولم تضع فدعا لها الله قائلاً: اللهم إنك تثبت ما تشاء وتمحو ما تشاء بيدك الملك إن كان في بطن هذه المرأة جارية فأبدلها غلاماً، فذهبت المرأة وبعد فترة قليلة جاءت بطفل له أسنان. ومن الأدب القيم ما نراه في سيرة الخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه قالوا إن الزبرقان بن بدر جاء يشكو إليه الحطيئة لأنه قال من ضمن أبيات يخاطبه بها:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال له عمر لا أراه إلا قد مدحك! فلما راجعه الزبرقان بأن ذلك هجاء مقذع استدعى حسان بن ثابت وسأله أهجاه يا حسان؟ فأجابه قائلاً بل سلح عليه. وكان الحطيئة يريد بالطاعم المطعوم وبالكاسي المكسو، أي أنه جعل الزبرقان متسولاً لا كريماً كما قد يفهم من بيته.

ومن أدب التاريخ الإسلامي موقف العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه حين سئل من أكبر أنت أو رسول الله؟ وكان هو والرسول وُلدا في تاريخ متقارب فأجاب العباس قائلاً هو أكبر مني وأنا أسنُّ منه!!

هذه جملة من القصص والعبر والتجارب المليئة بالثقافة والدسامة وحسن العظة والدرس كتبتها في هذه السطور أرجو بها إضاءة نور أخضر أمام القراء، وإن رجائي أكبر من أن يرجعوا إلى مصادر هذه الأخبار ليروا ويقفوا على تفاصيل ما أجملت أو تصحيح ما أخطأت لأني كتبتها بعيداً عن الكتب والمراجع واعتمدت في كتابتها على الذاكرة. وإني ذاكر بعض المصادر التي يرجى العودة إليها كضمان لتلك الطرائف والأخبار، فمن ذلك:

* تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ.
* الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.
* تاريخ ابن كثير.
* طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

وغيرها، والله من وراء القصد.

# التاريخ الإسلامي: تراثه وثقافته

لكل أمة من الأمم تاريخ يسجل أحداثها وإنجازاتها وتراجم رجالها ونسائها وغير ذلك من مختلف أنواع الحوادث أو الحروب أو الأنشطة السليمة. والعرب والمسلمون لهم تاريخهم الحافل وسجلهم الحضاري في ميادين شتى من العمل ومجالات مختلفة من الإنجازات تسوده الروح الخيرة ويعمه مبدأ الأمانة والنزاهة والصدق. وقد أجمع المستشرقون الغربيون الذين عنوا بدراسة تاريخنا الإسلامي على أنه لا توجد كتابة تاريخية شملت المميزات والصفات النبيلة الجامعة المانعة مثل تاريخ العرب المسلمين، حتى أنَّ التاريخ الأوروبي القديم أو الإغريقي بوجه خاص لم يكن حافلاً كما حفل تاريخنا هذا.

وشتان ما بين تاريخنا وتاريخهم حتى في الفكر والفن، فالفن الإسلامي متميز بتعاليم الإسلام ووجهة نظره إلى الدنيا وما يبهج نفس الإنسان من طبيعة أو براءة وإحسان وإتقان. وبالعكس تماماً اشتمل الفن الإغريقي القديم على أن نخرج من هذا إلى أن تاريخ المسلمين والفكر الإسلامي والفن العربي يتميز بمميزات خاصة تعبر عن الروح الدينية والعادات الاجتماعية والطبيعة الفطرية السليمة عند

الإنسان. وينبغي أن ندرك أن تاريخ العرب زانه دينهم وطوره العلم وحققه روح التضامن والإخاء الإسلامي بعد مبعث المصطفى عليه الصلاة والسلام وفتوح العرب المسلمين للعالم كله ينشرون الحق والعدالة والروح الدينية الخيرة بين الأمم. وهناك ميزة أخرى للتاريخ الإسلامي هي الشمولية والعمق في تحليل الأحداث أو وصف الإنجازات، ولا تكفي الإشادة بذلك فإن هذا قليل وجوده وإنما تحري الصواب بوساطة الرواية والسند كذلك والدقة وتوخي وجه الحقيقة وإن تعددت الروايات في وصف حدث واحد من الأحداث أو مشهد من المشاهد أو حادثة شخصية لعلم من الأعلام أو رجل من الرجال. وهذه الصفة ـ صفة التحري والدقة ـ غير موجودة في سجل تاريخ الأمم الأخرى، وإن وجدت فقليلة أو نادرة جداً.

وصفة أخرى لتاريخنا الإسلامي اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء هي تلك الحشود الضخمة من تراجم الأعلام رجالاً ونساء. هذه صفة قررها الكثير من المؤرخين غير المسلمين. فقد حفلت كتب التاريخ بالسير والتراجم وتاريخ الشخصيات عبر العصور الإسلامية قديماً حتى عصرنا الحديث. ولن يحصر هذه التراجم الشخصية عدد معين فقد بلغت الملايين من العلماء والمصلحين والمفسرين والمحدثين والمفكرين والدارسين والفلاسفة والمؤرخين والقضاة والأدباء والشعراء والفنانين وغيرهم من الشخصيات العربية المسلمة رجالاً ونساء. ثم إنَّنا، بالإضافة إلى تاريخ الغزوات والسير والفتوحات والتراجم الشخصية، نجد في التاريخ الإسلامي تدويناً لتاريخ ووصف المدن والأقاليم والرحلات والمشاهد العالمية آنذاك، وهذا ما كتبه العلماء والجغرافيون من العرب المسلمين والرحالة المكتشفين للأماكن والبلدان في العالم القديم.

وقد ضمت المكتبة العربية ألوفاً من الكتب والمؤلفات التي سجلت وحللت بدقة هذه المجالات والميادين والألوان الحافلة بالإنجاز العربي الإسلامي وفضله على الفكر الإنساني العالمي حتى الحضارة الحديثة، ولن تغني كلمة كهذه ذكر عن الألوف من أولئك المؤلفين أو تلك المؤلفات، ولكن سأذكر بعض الكتب التي سجلت أسماء تلك المؤلفات ومؤلفيها كالفهرست لابن النديم وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ومعجم الأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين. هذه الكتب اشتملت على تاريخ العلماء والأعلام وما خلفوه لنا من الكتب والمصنفات في جميع فروع العلم والفكر والمعرفة، وتعتبر الكتب المذكورة أهم الكتب المطبوعة حالياً لتاريخ العرب المسلمين. وهناك من المعاصرين من كتب تاريخاً عاماً تضمن سجل الحضارة العربية الإسلامية، وأذكر منهم حسن إبراهيم حسن وأحمد شلبي وأمين مدني، وهؤلاء كان منهجهم علمياً دقيقاً، وبروكلمان وفيليب حتي وغيرهما، وهؤلاءكانت لبعض كتاباتهم التاريخية الناحية السلبية المغرضة.

إن التاريخ العربي الإسلامي له منهجه العلمي والإيجابي في طرح أمور الحضارة والتفكير الإنساني وقضاياهما الثقافية والعلمية والأدبية.

ومن المؤرخين العرب المسلمين في العالم الإسلامي وتاريخه المجيد مَن انتهجوا أسلوباً علمياً مميزاً عن تدوينهم التاريخي الحضاري الحافل المليء بالذخائر الفكرية والثروات العلمية، وإن الأثر الأجنبي كالاستشراق لن يؤثر في المنهج التاريخي المسلم الذي خطه العرب المسلمون وجعلوه نصب أعينهم قديماً وحديثاً،

الأمر الذي ينبغي إدراكه بدقة وتحرٍّ وثقة لأن القناعة الشخصية يجب تثبيتها في النفس والروح، وإن تاريخ العرب المسلمين واضح ومدون ومليء واللبيب اللبيب هو القادر على استخراج هذه الثروة، ففي العالم الكبير اليوم ألوف المخطوطات العربية التي كتبت في مختلف ألوان المعرفة وفنون العلم والثقافة لدى المسلمين. وأجدها مناسبة لدعوة الطلاب الجامعيين إلى إدراك حقيقة علمية واقعية وهي أنه ما لم نهتم بتراثنا فإن معرفتنا بتاريخنا تبقى قاصرة عن اللحاق بركب الحضارة الإنسانية اليوم، وإننا اليوم في فرص عديدة لدراسته ومعرفة ثرواته الطائلة، فإن لم نهتم بتراثنا ونحن أصحابه فمن يهتم به؟!

إن أمتنا اليوم بحاجة ماسة إلى تعريفها بتاريخها المجيد، ومسألة نقل المعرفة ونشرها قضية تربوية تعليمية، لكنها كذلك تعتبر أمراً ثقافياً، ولعل دعوة المثقفين العرب والمسلمين إلى دراسة التراث الإسلامي هي كدعوة الطلاب الجامعيين إليها في مجالات أوسع واهتمام أكثر، فينبغي ملاحقة الواقع الثقافي الذي يسجل اليوم تاريخنا سواء في المؤلفات أو في ما ينشر عبر وسائل الإعلام أو الندوات والمحاضرات الفكرية التي تبحث في التراث والعلوم وتاريخها عند العرب المسلمين.

أما العلماء والباحثون من المسلمين اليوم فهؤلاء هم خلفاء رجال الأمس في التاريخ والثقافة والفكر والأدب والحضارة، ولعل الحكومات الإسلامية اليوم تقوم بدعمهم مادياً ومعنوياً وسيشملهم جميعاً عون الله وتوفيقه والعاقبة للمحسنين.

# الكلاسيكية.. أدب خالد

لم يكتب لأدب الخلود مثلما كتب للأدب الكلاسيكي! ذلك لأن أدباً غيره لا يقر على ثبات الفكرة والموضوع والصورة والأسلوب والتناول والطرح مثلما تميز هذا الأدب، وهذا يتمشى باطراد منذ العصر الجاهلي عند العرب ومنذ قبل الميلاد عند الإغريق ومروراً بالعصور المختلفة إلى يومنا هذا. فالتاريخ الأدبي خلد امرأ القيس كما خلد الإلياذة وهوميروس.. وحفظ التاريخ لهما يعني الإبقاء على الميسم الأصلي للكلاسيكية، ونحن إذا قلنا أدباً كنا نعني الأدب القديم وهذا ما عناه التاريخ ضمن ذخائر هذا الأدب وطروحاته وأساليبه وإبداعه وشعرائه وخطبائه، أما ما عداه فيعود إلى طبيعة العمل الأدبي والأدباء والتاريخ خير حكم منصف لتقويم الأعمال الأدبية منذ القدم والنقد نوع من نوعيات ما يتضمنه التاريخ..

إن الأدب الكلاسيكي بسيط متواضع لكنه عريض الموضوع شاسع الطرح ومتنوع الصور والأفانين.. خير ما نجد فيه طبيعة الأدب وحيويته وعنفوان الفن وإبداعيته..

والأدباء الكلاسيكيون بسطاء.. طيبون.. حكماء واقعيون وهذه سمات الكائن الحي في الوجود وطبيعة الجوهر في الحياة كنهاً، ولباً، وغاية.

إن الفكر العميق في تأملات الكلاسيكية والروح الحية تجدها في صميم الكلاسيكية والأسلوب القوي تجده عندهم ولا تجده في سوى أعمال أولئك، وهل محفوظات الزمان إلا من تلك الأعمال؟ وهل البقاء إلاّ لها؟ سيقول البعض صدقت وقد يقول سواهم أخطأت!! والعجب فيمن لا يعجبهم العجب فلا يتغير العمل ويجوز للذوق أن يتغير ولا يصدأ التبر وقد يتعفن التراب ولا يخبو النور وقد تدمر النار، وهذا يسري إيجاباً في أدب الكلاسيكية وفي أذواق أولئك سلباً. لقد كان القديم جديداً في عصر إبداعه وإحيائه وعمله لا يعني ـ هذا ـ إذن قدماً متأصلاً في ذات قدمه ولا جديداً فيما يتحدث عنه الآن. إنه أدب ابن عصره وصديق زمانه وأوانه يبرز بأصالته وكيانه في أي وقت ليقول ها أنا ذا الإبداع في اللفظ والمعنى والفكرة والصورة والتناول والطرح، أغراضي واضحة وأساليبي معهودة لا أنفي عن موضوعي الفكرة أو العاطفة أو الشعور والإحساس، إنني مزيج من الروح والعقل والنفس، إنني ابن الإنسان المتكامل الكيان، خذوني أدباً متسقاً كاملاً حياً حيوياً إن مات مبدعي فإني لن أموت وهل تذهب الروح لو فارق الجسد؟ من هنا يأتي التاريخ ويكتب الخلود لي ولأدبائي، إني أنا الأدب الكلاسيكي وهؤلاء هم أحبائي فاقرأوني أمدكم بالجديد المتجدد.. واتخذوني نماذج لما تكتبون وتبدعون تكونوا أدباء حقيقيين..

# التراث الأصيل بجانب الثقافة المعاصرة

كمصدر رافد للإنسان تعتبر الثقافة غذاء روحياً له وساعداً قوياً لقوته المعنوية في الحياة، فهي تمده بأنواع مختلفة من المعلومات والمعارف، وهي ترفده بعطاءاتها الفكرية والتجارب الأدبية من أجناس مختلفة في المجتمع الثقافي، ويأتي المتلقي لهذه الثقافة واعياً بتلك العطاءات وهاتيك التجارب من لدن المثقفين والأدباء فيضيفها إلى وعيه وذهنه وعقله فتمضي به واعياً لا يشبع ومتلقياً لا يمل ومستزيداً لا يقنع! ألم يأت في الأثر الشريف: اثنان لا يشبعان طالب مال وطالب علم!

وهذه حقيقة معنوية وقيمة سامية في الحياة الإنسانية تنبني عليها حضارة الإنسان وتمدنه وأصالته وحيويته وعمله الفكري وإنجازه المعنوي في صروح عالية وحصون منيعة.. إن الإنسان هو الذي يدرك هذا وحده باعتباره الكائن العاقل في الحياة الأرضية، وهو ذو اللسان الناطق الوحيد من بين الأحياء، ولحكمة ما كان هو المستخلف من قبل الله في أرضه، لذا كان عليه أن يعمل وينجز باستمرار لتعمير الكون وإحياء الفكر الإنساني وزراعة الصلاح والبر على الأرض.. ومسؤولية المثقف في هذا الصدد تعتبر من أصعب المسؤوليات لأن جل الناس وجمهورهم لا يدركون ولم يتوصلوا إلى

ما توصل إليه من نتائج قيمة سامية للحياة وصالح الأحياء، وبذلك كبر دوره وعظم قدره الأمر الذي يوجب عليه المضي قدماً نحو العمل البناء في الوجود الفكري للإنسان والمجال الثقافي له في الحياة.

إن المثقف الذي يجمع بين العلم والعمل به والأدب وتطبيقه والفكر والفعل هو الإنسان الصالح في أرض الله، هو كأي إنسان تعبد الله بقلبه وروحه ونفسه عرف ما عليه تجاه الأحياء ومحييهم والمخلوقات وخالقها ما له وما عليه، وكان يجب على كل إنسان أن يكون صالحاً ولكن اختلف الناس معادن وعملاً فاللبيب اللبيب هو العارف بالخلافة الإلهية في الأرض والحياة المعنوية في رحاب الوجود والعاقل الحصيف هو من ثقف نفسه وذكر في هذا المقام عصاماً غلام النعمان بن المنذر حينما سئل عن سر نجاحه وثقافته العلمية في الحياة فقال:

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والإقداما
وصيرته فتى هماما

وعلى المثقف لكي يحيا حياته العلمية الواسعة العودة إلى التراث الأصيل والثقافة الحية المعاصرة في كل زمان ومكان، ففيهما أسس الفكر والثقافة وحقيقة العلم والمعرفة فإذا جمع بين الأصالة والمعاصرة والماضي والحاضر عرف الحياة الواقعية بالسعادة الواعية والانتعاش الثقافي بالجمع بين الحسنيين.. والحياة جزؤها ماض والجزء الثاني هو الحاضر وبالجمع بينهما يزرع الأمل للمستقبل الحي الواعد والقادم المأمول فيه الباسم.. وبالثقافة تدرك هذه الحياة المعرفية والمعنوية للزمان والمكان والعلم والعمل والحضارة والتمدن والخير والجمال والأصالة وكرم المحتد.. وفي الحياة ثقافة لكن في الثقافة حياة أيضاً.

# الحضارة الإنسانية والفكر

غالباً ما تنطبع الحضارة الإنسانية بالفكر الإنساني من حيث إقامتها وترسيتها وتطويرها.. ذلك أن الحضارة أقيمت بجهد التفكير الإنساني وثروة الأرض وغنى الطبيعة، فالإنسان يقوم بتجميع الثروة وتكرير الطبيعة ويضيف إليهما تفكيره ليقيم بعد ذلك حضارته وتقدمه وازدهاره.

ولا تعني حضارة الإنسان ماديته أو غناه فحسب، بل إن فكره وثقافته هما المحك الأول لتقويم حضارته وتقدمه الإنساني في الحياة وبالتالي إثبات وجوده المعنوي فيها بحيث يبرهن على عبقريته في تنظيم المناهج لإقامة نظم أو قوانين من شأنها تطوير حياته في هذه الحضارة التي يعيشها مع أبناء أمته، وكذلك خلق ثقافة وفكر وأدب والاستفادة من تراثه لتشييد صروح المعرفة وبناء الكيان الثقافي والعلمي والأدبي والفني ضمن هذا الإطار العام لحضارته الإنسانية في الحياة. ولا بد لهذا الإنسان الحضاري أن يقيم بين نفسه وحضارته رباطاً روحياً وعقائدياً وفكرياً بحيث تثبت أمامه القيم والمعاني والأفكار الحيوية لدعم مسيرته الحضارية في حياة المادة والغنى والثروة والطاقة الطبيعية.. لأن المادية تؤثر وحدها في

هذه الحضارة وما لم ترتبط بالروحانيات الدينية فستتدهور الحضارة تدريجاً وبالتالي تفقد أهم مقوماتها الحية والقوية ألا وهو الجانب المعنوي المترسخ فيها. إلاّ أن الذوق الإنساني يدخل كعامل مساعد في زخرفة الكيان الحضاري للإنسان، ذلك أن المظاهر العامة لا بد أن يسودها الطابع الفني الجيد في الشكليات وهذا يحتاج إلى إنسان متذوق خبير بأشكال وألوان الحياة المادية التي لا بد للحضارة الإنسانية من قدر يسير منها.. وإلاّ لن تقوم للإنسان في حضارته أية قائمة.

والحق أن الحضارة الإنسانية تتكون أولاً بالفكر الإنساني والروح الديني ثم تتبعهما المادة والثروات والغنى.. ويدخل الأدب الإنساني والفن الإنساني كعاملين يساعدان على تدعيمها وتقويتها وجمالها المادي والمعنوي والروحي لكي تبدو الحضارة الإنسانية في أحلى الحلل وأجمل الألبسة وأعظم الواجهات في حياة الإنسان الحضاري.

إن تفكير الإنسان منطبع بالصورة الدينية في ذاته ولذلك فهو يتوق إلى الأفضل في الحياة، فإذا أراد تكوين حضارة تخصه فلا بد أن يتصورها جميلة ومريحة ومثالية.. فهو يتصورها متوفرة بحاجياته المادية والمعنوية ولا يستطيع أن يتخيل تفكير الإنسان أكثر مما ينبغي، ولذلك فحضارته ستبقى محدودة الأطر الجمالية والشكلية، ولا بد من أن تتسرب بعض السلبيات في هذه الحضارة الإنسانية ولن تكمل هذه الحضارة مهما بلغ جهد الإنسان فيها وعبقريته حد الكمال بأي شكل من الأشكال.

إن الحضارة الإنسانية ترتبط بفكر الإنسان المعنوي والحسي أي أن لها جانبين: مادي وروحي، ويكاد هذان الجانبان أن يكونا متوازيين ومتعادلين في مقارنة وموازنة تامة. وإن تصور الإنسان هو

الذي يطبعها بطابعه الإنساني سواء أكان تطبيعاً فكرياً وأدبياً ومعنوياً أم تطبيعاً مادياً وحسياً.. فالحضارة في الحياة الإنسانية هي حضارة إنسانية على وجه العموم وتصورها في الكون تصور إنساني، ولكن ينبغي القول إن هناك من الحضارات ما يتوجه فيها الإنسان إلى الله، وهذه الحضارة بتوجهها الإلّهي من قبل الإنسان إلى ربه هي أسمى حضارة عرفت في تاريخ البشرية على الإطلاق ألا وهي الحضارة الإسلامية.

لقد قامت الحضارة الإغريقية وقامت حضارة الفرس ثم قامت حضارة الروم.. قامت هذه الحضارات على أسس مادية بحتة وإن داخلها نوع من الروحانيات.. أما الحضارة الإسلامية فأساسها دين الله الحق وروحانيات الرسل والرسالات الإسلامية السماوية، فكان تصور الإنسان المسلم في حضارته تصوراً مبنياً على اليقين والحق لا على التصورات الواهمة المشكّكة والضالة، وهذا ما نجده في تلك الحضارات السابقة عن الإسلام، أما الحضارة الإسلامية فهي أسمى حضارة إنسانية على وجه البسيطة وأعظمها على الإطلاق، ولذلك نجدها تتسم بالقيم والمعاني الخيرة ولها مبادئ وأُسس ذات صلة وثيقة بالسماء.. لذلك نبغ الفكر الإنساني في هذه الحضارة.. الحضارة الإسلامية المجيدة ففاق الفكر الإسلامي الفلسفة الإغريقية فكانت حضارة الإسلام. ولا يعني هذا أن الحضارة الإسلامية غير إنسانية كلا.. فالإنسان المسلم كان في حضارته دائماً هو الإنسان الفطري والبريء والسليم السوي.. وهذا يجعلني أقول إن هناك نوعاً من الرباط الإنساني يربط جميع الحضارات وليست الحضارة الإسلامية في هذا الشيء بدعاً بين تلك الحضارات، فهي حضارة إنسانية كذلك، لكن ما جعلها تقوى هو صلتها بالله وهذا هو الفرق الوحيد بينها وبين حضارات الأمم الأخرى ويكفي هذا فخراً للإنسان المسلم في كل مكان وزمان.

# الأدب والحضارة

الأدب كما أنه ظاهرة علمية ثقافية للفكر الإنساني فإنه مؤشر حضاري للأمم ودليل تقدم. وهو في قيمه وأعمال ذويه الأدباء السبب في إنعاش التقدم الأممي، ومضمار حضاري عريق في الرقي الشعبي والبشري. فالإنسان بفنه وفكره و حسه راح يعبر عن ظواهر الكون والطبيعة والعلم والعمل والحركة والهدوء وقيم الخير والنور والجمال بأسلوب راق وفن جميل وشعور نبيل. والحق أن معرفة ما للأدب من قيم كهذه ومستوى رفيع من المكانة الشعورية داخل أعمال الأديب تعود إلى الإبداع والتفكير وحب التطلع نحو الأمام والعلى.

لهذا ارتبط الأديب بهذه القيم وجعل الحفاظ عليها رسالة سامية.. يحملها في نفسه وفكره ويؤديها بأمانة وإخلاص ويظهرها بتؤدة وطمأنينة. إن الأدب مؤشر مباشر للتقدم الفكري عند الشعوب لذلك اعتبر بأنواعه وأجناسه وعلائقه بالفنون الجميلة مظهراً من مظاهر النهضة الإنسانية عبر العصور ودلالة حضارية ومعلماً من معالم الرقي والتقدم المعنويين. وبهذه المكانة المعنوية يضيف إلى النهضة المادية والمالية عند الإنسان نهضة في النفوس والأفكار والأرواح، وتقدماً في العلم والثقافة والمعرفة، وإنجازاً رائعاً من إنجازات

الإنسان الحيوية في الوجود الكبير والحياة المدهشة والعالم الفسيح. إن بمقدور الأديب إضافة كل ذلك إلى التراث الإنساني الفكري، وقد لا يجاريه ذو المال أو الثروة المادية في اللحاق بهذه المكانة بل تحقيق الرقي في القيم والفكر والأخلاق، وبذلك اعتبر الأدب وسيلة وهو في جوهره الغاية المثلى والهدف الأسمى للرقي المعنوي والمادي معاً، لأن الأدب قد يحقق واقعاً من الحياة الحضارية ذات الذخائر الفكرية والمعنوية، ولكن المال قد يفشل صاحبه في تحقيق شيء من ذلك حين نفترض عجزه الجوهري عن بناء شيء ما في الحياة المعنوية.

صحيح أن المادة وسيلة لتحقيق النهوض الأدبي لكن بفقدانها للمواهب والفكر والشعور والقيم والمثل والمعاني لا تستطيع إنجاز شيء من ذلك، الأمر الذي يدخل الأدب في مضمار روحي كبير في حين تفقد المادة أثرها بسرعة وتتلاشى جزءاً فجزءاً. إن الأديب قد يكون معدماً من الثروات لكنه أدهى من صاحب الثروات الطائلة في مناجاة الحياة المعنوية وعرفان أسرارها وإدراك خلفياتها وتحقيق نوع من السعادة القلبية. أما الأدب فهو أساس الحضارة الاجتماعية والإنسانية لأنه يبدع في حين تبدد المادة مادة مثلها ولا يخلد لها أثر. أسمعت ما قاله العبقري عمر الفاروق لهرم بن سنان ممدوح الشاعر زهير بن أبي سلمى: «لقد أعطاكم زهير كثيراً، فقال هرم: ونحن أجزلنا له العطاء!فأجابه عمر بأدب عظيم: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم». هذا هو التباين بين الأدب والمادة، هنا مفترق الطريق للمفاهيم الخيرة الجمالية والمثالية بين قيم ومواد وآداب وثروات، هنا شيء كالمعجزة تثير الدهشة والتساؤل وتبدي عن عجب عجاب.

وحضارة الإنسان تبدو في وعيه للطبيعة ومجريات الكون والحياة وشعوره وإحساسه بمن حوله من الأحياء والمواد الجمادية والأشياء والمظاهر المختلفة وشعوره بالقيم الحياتية والمعنوية والمبادئ والأسس الاجتماعية والنظم والقوانين المدنية. إن استيعاب الأديب لهذه القيم والأشياء بالإضافة إلى احتوائه لخواطره وخلجات فؤاده والشعور بالمشكلات الخفية أو الإحساس والمواساة في الكوارث والنوائب والنكبات لمن واجهه شيء منها يعتبر مظهراً من مظاهر الحضارة الأدبية عند الإنسان وظاهرة من ظواهرالفكر لديه وقضية فنية جميلة لا يدرك كنهها إلاّ الأديب نفسه، والشاعر يقول:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها

إن هذا كله كالإحساس الجمالي للحياة والتفاعل مع معطيات الكون والطبيعة، والتأقلم في البيئة دليل إيماني للأديب بربه وملمح إسلامي في الحياة لأنه يتفق والدين ويتفاعل مع الروح ويتلاءم مع القيم الخيرة والفطرة السليمة. إن الأدب إذا احتوى ذلك كله وتضمنه واشتمل عليه يصبح معلماً من معالم الحب والجمال والفن، ورائداً للخير والطيب والإحسان، ودليلاً على الرقي النفسي الداخلي في أعماق الإنسان الأديب وأغوار روحه الحية اليقظة. أليس الإنسان بروحه وإنسانيته إضافة إلى كيانه وجسده وهيكله؟

كذلك الأدب بقيم المعاني وألفاظها وصور الأسلوب وبهائه وحلله ومضمونه وشكله، والأدب كالحضارة كل منهما يعبر عن الحياة المتقدمة عند الإنسان، هذا في القيم والمعاني، وتلك ـ أي الحضارة ـ في المادة والعمران والثروات. ويأتي الإنسان هو الجامع بينهما، ولا يكون هذا إلا أديباً أدرك سر الرقي الفكري وشعر بالتقدم

المادي فيروح معبراً عن ذلك بفنه وأدبه وعلمه وثقافته ودينه ودنياه ووعيه واستيعابه. وإذا كان أدب الحضارة في القيمة المظهرية للإنسان من حيث الشكل فإن حضارة الأدب في حيويته ونهوضه بالفكر الإنساني والنفس البشرية وقيامه بالإنسان الروحي لا الإنسان الجسم والجسد، وهكذا تزدهر الآداب والفنون وتتقدم الشعوب والأمم.

هذا هو ناموس الحياة وقانونها وهذه سنتها وديدنها، فلا بد من مادة وأدب في الحضارة كما لا بد من ذكر وأنثى في الحياة الإنسانية، وكما هو في المترادفات الخير والشر والنور والنار والقوة والضعف والتقدم والتقهقر والبؤس والسعادة واللقاء والفراق والحزن والفرح. والحق أن الأدب بلا حضارة سالب في حين اشتراكهما في الوجود الحياتي أمر إيجابي للغاية.

# في الحضارة والأدب والإنسان

إن للأدب نهضة معنوية تصل إلى درجة حضارة الإنسان في جانبه المادي.. وإن للحضارة لأية أمة من الأمم وأي شعب من الشعوب معالمها الأدبية وأماراتها الفكرية ودرجاتها العلمية الثقافية العليا. قد تبلغ آداب الأمم إلى قمتها في دنيا الفن والفكر لكن الماديات وحدها لا يمكنها أن تبني أو تشيد حضارة إنسانية راقية بلا ثقافة أو فكر أو علم.

لهذا كله اعتادت الأمم أن تربي ناشئتها على التعليم وتلقينها الدروس العلمية والتربوية حتى تنجلي بصائرهم وتتفتّق مداركهم وتعلو هممهم وتسمو عقولهم. وبالتعليم ينتشر العلم والأدب، وبالأدب تنتشر الثقافة، وبالثقافة تنبني الحضارات البشرية والإنسانية. إن مفكري العالم منذ القدم قد دأبوا على رسم مناهج علمية وثقافية لنشر النور المعرفي والضياء العلمي والفكر الأدبي. ونجد أن هذه المناهج تتسم بالرؤية التربوية والصفة الإنسانية والسمة الاجتماعية حتى تتناسب وفكر الإنسان الناشئ في رحاب العلم ومجالات الأدب والثقافة ودنيا الفكر، الأمر الذي يتلاءم ونفسية الإنسان وعقله الإنساني وروحه الاجتماعية. وبذلك يصنع

المفكرون ورجال العلم والثقافة حضارتهم الفكرية للناس، وبذلك تتكون حضارات الأمم التي استنارت بتفكير رجالاتها العاملين العالمين والمرشدين الناهضين في سبيل تفكير إنساني أفضل وحياة علمية أكثر فائدة وأثمر جدوى ومنفعة لتشييد الكيان الحضاري الإنساني في جميع الجوانب وعلى مدار التواريخ والأزمنة والعصور والدهور. إن البشرية في ازدهار آدابها وفنونها وعلومها وثقافاتها إنما تزدهر إنسانياً واجتماعياً وتعلو روحياً ومادياً وتسمو خلقياً وأدبياً، لا تثني عزائم رجالها الناهضين بحضارتها العوائق ولا تخذلهم المكاره.

وبذلك يمضي الركب الحضاري للأمم وتسير قافلة الحضارة الإنسانية في مساراتها الواضحة بجلاء رؤية وحسن إدراك وصفاء بصيرة. إن الحضارات على تعدد صانعيها واختلاف مشيديها وواضعيها لا تختلف جوهرياً، فأساسها جانبان الجانب المعنوي ويشمل القيم والأخلاق والدين والجانب المادي ويحتوي على الثروات والطاقات والأيدي العاملة.

ففي الحضارة يتضح أثر الإنسان الفكري المعنوي وأثره المادي البنياني الكياني إن صح التعبير. وللأدب دوره في الأثر الإنساني في حضارته المعنوية والقيمية، لأن الأدب هو ظاهرة التعبير الفكري والشعوري لما في داخل الإنسان من معان وأفكار وقيم وهذه الأمور لها دورها الفاعل في تنشيط الحضارة الإنسانية ورقيها المعنوي. أما الإنسان هذا الكيان الروحي والجسماني فهو آية الله في خلقه وأرضه، والشاعر العربي أبو العتاهية يقول في معرض حديثه عن المولى عز وجل:

وفي كل شيء له آية    تدل على أنه الواحد

* * *

هذا الإنسان هو رمز الحضارة المادية والمعنوية وبسببه كانت وإليه تؤول الحضارات قديمها وحديثها. إنما الله خالقه هو الذي دله وأرشده وهداه إلى استخدام التفكير فيه ليعلم ويعمل ويبني ويشيد ويكافح وينجز ويبذل الجهد ويحصد النتيجة وهكذا دواليك، فكان أن اهتدى إلى جمع المعلومات وبناء الكيان الفكري له فاستطاع أن يشيد حضارته البشرية الإنسانية. ويجب حين التحدث عن الحضارة ربطها بالجانب الروحي والتراث الديني خاصة إذا كانت هذه الحضارة تتصل بالإنسان المسلم الذي حباه الله بالوحي والقرآن والنبي والرسالة والهداية والرشاد. فالجانب الروحي من الحضارة الإسلامية - على سبيل المثال - هو الذي أكسبها صفة التأثير في الفكر الإنساني وبالأخص في الحضارات الموجودة في العصر الحديث. وللإفادة أود الإحالة على كتاب جدير بالقراءة في هذا الصدد هو (أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية) لمؤلفه الأستاذ أحمد علي الملا، وهناك كتاب آخر قريب من هذا الصدد هو كتاب (رحلة الأدب العربي إلى أوروبا) للأستاذ محمد مفيد الشوباشي. والله من وراء القصد.

# الأدب والفكر الإسلامي

للأدب فكرة موضوعية وهدف من القيم وأسلوب من الفن يجمعها الرباط الثقافي والفن الأدبي.. وهذه الحيثية للأدب وفكرته تتفق والتسمية الإسلامية للأدب الإسلامي والفكر الإسلامي.. حيث عالج بعض المفكرين المسلمين قضايا الثقافة والأدب والفكر بمنهاج مستمد من نور القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أسموه أدب الدعوة الإسلامية أو أدب الفكرة الإسلامية أو الأدب الإسلامي عموماً، ولعل ذلك مقتصر على الأساتذة الدكاترة الجامعيين في الجامعات السعودية وغيرها، لكن الأدب والفكر الإسلامي متعلقان بالثقافة الإسلامية التي كتبها بعض المفكرين الإسلاميين وبالذات في عصرنا الحديث، حيث نجد عدداً كبيراً من هؤلاء درسوا التراث الديني للأمة المسلمة في عقيدتها وكتابها وسنتها وعلومها وتاريخها، وهذا يتفق مع فكرة الأدب الثقافية، والأستاذ أحمد جمال عنى ذلك حينما سألته في عام ١٤٠٣هـ في لقاء صحفي فقال: هناك مفكرون مسلمون يطلق عليهم اسم أدباء إسلاميين.. ولعله يريد بذلك أمثال سيد قطب ومحمد قطب وأبي الحسن الندوي وأبي الأعلى المودودي وعلي الطنطاوي وغيرهم.

والحق أن علاقة الأدب بالفكر الإسلامي غير شاذة أو ذات نشاز فكلاهما يتفقان من حيث الهدف الأسمى للفكرة ومن حيث الفكرة الموضوعية كثقافة وعلم وفكر.. وهما في الأسلوب الفني يتفقان حيناً ولا يتفقان أحايين أخرى.. والفكر الإسلامي في ثقافتنا الدينية وتراثنا الإسلامي يتسم بالأخلاقيات العلمية والصفات العليا للثقافة الإسلامية من حيث هي علم رفيع وفكر بديع وأدب علمي رائع.. ومن رأيي البسيط وجوب تأديب الفكر الإسلامي أي جعله أدبي النزعة لا الفكرة فحسب بل في الأسلوب والصورة أيضاً.. فهناك في بعض كتب الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية عدم تقيد بالأسلوب الأدبي والاكتفاء بالإنشاء الفكري والكتابي والموضوعي للكتب.. ولا شك أن هناك ندرة في كتب الثقافة الإسلامية التي التزم مؤلفوها بالأسلوب الأدبي فيها وأذكر منهم سيد قطب في معظم كتبه الفكرية غير الأدبية البحتة وأحمد جمال في كتابه «محاضرات في الثقافة الإسلامية».

كما أن من رأيي البسيط ضرورة اطلاع الأدباء العرب على ما كتبه المفكرون الإسلاميون في الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي وأن لا تقتصر قراءاتهم واطلاعاتهم على الكتب الأدبية والدواوين الشعرية فقط، لأن الأدب ليس أسلوباً فنياً فحسب، بل هو فكرة موضوعية أيضاً لها أهدافها السامية وقيمها المثلى ومبادئها الراسخة في ذات المثقفين المسلمين ومفكريهم بل في التراث الإسلامي عامة.. فأدب الفكر الإسلامي يضاف إلى الثقافة الإسلامية في عموميته الموضوعية والأسلوبية، والهدف من وراء ذلك وطرق بحثه ومواضيعه أن التراث الإسلامي يجمع الأدب والفكر الإسلامي في مائدة ثقافية ثرية وشهية الذوق النفسي والفكري للقارئين والمطلعين والباحثين وطلاب العلم والأدب والفكر والثقافة.

كما أن الأدب الإسلامي والفكر الإسلامي يجتمعان في مائدة الثقافة الإسلامية الناضجة الحية الطرية، فهما متفقان من حيث الفكرة والهدف والموضوع بتميز الأدب الإسلامي على الفكر الإسلامي في الأسلوب الأدبي والفني أو الصورة واللفظ كما يقولون في النقد الأدبي.

إن الالتزام في الأدب الإسلامي هو نفس الالتزام في الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، ويكون في هذا الالتزام سلامة المعتقد والهدف والبحث وسلامة الرؤية الموضوعية والنظرية وحسن التصور نحو القيم والمبادئ في الدين والتراث الإسلامي والعقيدة السمحة في الإسلام.

وهذه غاية علمية يحث عليها الإسلام وهدف أدبي يحبذه الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية، وهو أمر مطلوب في العلوم والفنون والآداب كما هو مطلوب بالذات في الأدب والفكر الإسلاميين.

لقد آن الأوان للمثقفين في الأدب العربي الخروج من دوائر الشعر والنثر والفن إلى الاطلاع على كنوز الفكر الإسلامي والأدب الإسلامي والثقافة الإسلامية والتراث الإسلامي العريض.

إن عليهم الخروج من المضايق إلى البحار ومن الأنهار إلى المحيطات في هذا الفكر الجامع وهذه الثقافة الشاملة في تراثنا الإسلامي.. إن عليهم توسعة الرؤية الأدبية والفنية إلى التصور الكلي للثقافات والعلوم بمنظور إسلامي وتفكير إسلامي، كما ينبغي منهم القيام بالنشاط الفكري على الشعر الإسلامي وتراثه والفكر الإسلامي وثقافته القرآنية والنبوية والإنسانية من قبل أعلامه وشخصياته ومؤرخيه.

إن الاكتفاء بالشعر الوجداني أو غيره وبمقالات الخواطر وبكتب النثر الفنية ليس أمراً حيوياً، بل المطلوب الاطلاع الواسع، كما هو في أهداف العلم والثقافة الإنسانية، على كل التراث الإسلامي والإنساني في المكتبة العربية الغنية والشهية والثرية.

وإذا أجيدت اللغات الإنسانية الأخرى فالمطلوب الاستعانة بها على كنوز الناس العلمية الأخرى.

فالاطلاع الشمولي مطلب أدبي وفكري وثقافي وهو أمر مسموح به في العلم الديني وشرع الإسلام وعقيدته السمحة.. وإذا كان الأمر كذلك فالأدباء العرب مطالبون بمعرفة الاطلاع على ثقافة تراثهم الإسلامي وتواريخه وجغرافيته وعلومه وفنونه قبل سواها من الثقافات التي اندرجوا على الاطلاع عليها بلا حدود أو قيود.

إن الأدب من الفكر والأدب الإسلامي هو من الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية الشاملة، فضرورة ربطها وجمعها مطلب غاية في الأهمية من معشر المثقفين ورجال الأدب والفكر، وهذه معالم فكرية وأدبية أملاها الالتزام وحب الأدب والفكر الإسلامي وهي محاولة ضمن المحاولات لبسط الثقافة في مظانها ووسائل نشرها وإذاعتها، الأمر الذي يحتم على الكتابة في أمر حيوي فاعل، وما علاقة الأدب بالفكر الإسلامي إلا كعلاقته بالعلوم الإسلامية الأخرى والعلوم الإنسانية السائرة في درب الأدب والفكر الإنسانيين وبذلك يتشكل لنا موقف فكري في ثقافتنا وأدبنا وفكرنا وفننا.

والتزام الفكرة هنا مطلوب اللزوم به وهو من لزوم ما يلزم وليس من لزوم ما لا يلزم كما قد يسرح به خيال شاعر أو فكر أديب، ولعل ذلك يدخل ضمن معاني الثقافة الشمولية والأدب الكبير في تراث الإنسانية الخالد وآدابه وفنونه.

# الأدب بين الفكر والثقافة

يعتبر الأدب رابطاً معنوياً بين الفكر والثقافة وهما رافدان قويان للأدب، بل إن الأدب ليعتبر وسيلة لغوية تعبيرية عن الثقافة والفكر والفن والعلم الأمر الذي يجعله الزاد الحقيقي لهذه الروافد العقلية في نتاج الفكر البشري. وهذه ميزة قيمة للأدب وسيرة فعلية له وإنجاز عملي إبداعي، وقد يرى بعض المثقفين أن الثقافة بالمعلومات والمعارف ومختلف فنونها وألوانها تكفي كثروة فكرية للإنسان في حين يكون الأدب عند رؤيتهم للثقافات أمراً كمالياً ليس إلاّ. وغاب عنهم أن الذوق الثقافي لا يكمل إلاّ بالأدب وروائعه والأسلوب وبدائعه والبلاغة والبيان الخلاقين.. وفوق هذا يكون الأدب ضرورة ثقافية، وهذا أمر واقعي في دنيا المعرفة وعالم الفكر لأن الثقافة تزدان بالأدب، والفكر ينتعش به فلا حياة فيهما تدب وتهتز ما لم يخالطهما الأدب الإنساني الرفيع.

وكون الفكر قيمة الثقافة العليا لا يعني نضوب الأدب من معين يمكن أن يرفد الثقافة ويزينها بطابعه، كما أن الثقافة لا تحلو بالفكر وحده.. معانيه وقيمه ومثله ومبادئه، بل إنها لا تزدان إلا بالأسلوب الأدبي ولا ترتقي إلا بقيمه ومعانيه أيضاً .والحق أن الأدب له معارفه وعلومه كما أن له بيانه وبلاغته، ولهذه السمات الفكرية تتميز الثقافة

من قيمها الداخلية ومبادئها السامية وأطرها المعرفية في ذات الإنسان وروحه وعقله وفؤاده.. والحق أن المعرفة الإنسانية متعددة الجوانب ومختلفة الألوان ولكن الأدب يبقى الياقوتة الجميلة في سمطها والواسطة الرابطة لعقدها والأفق الجميل لتحليقها والمعنوي في أخلاد الناس وأفكارهم وأنفسهم وذواتهم في جو صاف وعالم بديع. وقد يعتبر الأدب ترفاً شعورياً وهذا اعتبار خاطئ وحسبان مشين يقلب الموازين الفكرية وينحيها عن واقعها الحقيقي إلى وضع ظالم غير طبيعي، لأن الأدب ذاته فكر وثقافة وقيم ومعان ومعرفة وعلم وليس مشاعر أو أحاسيس أو وجدانيات فحسب، يعمد بعض المثقفين إلى جمع المعلومات الاجتماعية والمعارف الإنسانية في حدود علمه وثقافته وعمله ويترك كثيراً من التراث الأدبي غفلاً عن استيعابها ويحسب أن ما جمعه قد كفاه وأغناه، وهذا رأي واتجاه خاطئان نحو المعرفة والثقافة والعلوم، ولم يدر أن رأيه في خطأ وخطل وحسبانه ضال ومعاكس للصواب، لأن حقيقة الثقافة أن ترتبط بالأدب والفكر معاً لا باتخاذ أحدهما وترك الآخر أو استقبال بعضه واستدبار بعضه الآخر. إن الأدب هو بين الفكر والثقافة رباط متين ودعامة قوية وسند عظيم ولن تقوى الثقافة أو يقوى الفكر إلاّ به ولن يؤتيا ثمارهما بدونه، الأمر الذي يجعله وثيق الصلة بهما إلى أبعد الحدود والقيود، وإن إمكانات الثقافة أو الفكر المعنوية لن تتأصل بغير الأدب أو بعيدة عنه، وإنما بالعكس من ذلك تماماً، ويحسن دائماً اتخاذ الأدب الركيزة الأولى لكل من الفكر والثقافة والفنون والعلوم الإنسانية جمعاء، وإن الأدب بين الفكر والثقافة كالصلاة التي تعد رأس العبادات أو الدعاء الذي يعتبر مخها ومركزها الرئيسي، كذلك الأدب بالنسبة إلى الفكر البشري والثقافة الإنسانية هو أساسهما القوي ومركزهما الرئيسي. فلا كيان ثقافياً بلا أدب كما لن تقوم للفكر أية قائمة بدونه، لأن الأدب يعتبر من قبل كثير من

رواده وعشاقه الدوحة السرحاء في عوالم الثقافات والأفكار والفنون والعلوم، ولن يقاس بأنه نزر القيمة بالنسبة إليها أو عديم الثمن من العلم أو الفن الثقافي بأي حال من الأحوال، والصواب أن يقال إنه في مركز القيادة لها فنياً ولغوياً وأسلوبياً وبيانياً أو إنه في عنق زجاجة المعرفة الإنسانية وفي الأوج من قمتها وقامتها وهامتها إن صح التعبير.

إن الأدب معرفة إنسانية ومطلب فكري راق لا يدرك قيمته إلاّ من عرف سر الإنساني في الوجود النفسي للبشر والروح الإنساني فيهم ولن يتقدم فكر أو ترقى ثقافة بلا مسعف منه لنهوضها أو ارتفاعها في قمم المعرفة الإنسانية والعلوم البشرية لأنه في موقعه منه كموقع الفن بين المعارف الأخرى للناس يطربون له كما يطرب المثقفون الأدباء للفكر والثقافة، وكذلك الأدب الإنساني كالشعر أو القصة أو المقالة والقطعة النثرية الأخرى تعتبر فنوناً من الثقافة الأدبية للفكر الإنساني والثقافة البشرية والعلوم الإنسانية والاجتماعية الخيرة ذات الصلة بنفس الإنسان وضميره وروحه وشعوره وفكره وعقله وحسه وفؤاده وقلبه وذاته. إن قيمة الأدب والفنون الإنسانية غالية بحيث لا تقدر بثمن روحي أو قيمة جوهرية لأنه ذو طاقات مثمرة هائلة في غور النفس البشرية والفكر الإنساني والعقل الفردي للإنسان المثقف الأريب والشاعر الفنان الأديب والمفكر العبقري المبدع، كما أن الأدب ليس ترفاً عقلياً أو سرفاً فكرياً يجعل الإنسان يلهو أو يعبث ذهنياً.. كلا ليس الأدب كذلك إنه تفكير وشعور وعلم وثقافة وفن ومعرفة، وهذه ميزة أخرى يكتسبها ولا يخسرها في ميزان معنوياته وقيمه وثمنه وقيمته، إنه بيان إنساني عمّا في داخل الإنسان وتصوير بشري عمّا في خارجه من الظواهر الكونية والمخلوقات في الأرض الشاسعة والكون العظيم... وإنه تعبير يشمل الجو والسماء والقاع

والأرض وما بينهما مما يجري بأمر الله، إنه تصوير للحركة الحيوية في هذا الوجود الكبير، وبذلك يدخل الفكر في آفاقه ويدخل الثقافة من أوسع أبوابها.. إنه يحرك الفكر الإنساني كي يعمل ويشغل المثقف كيف يعلم ويعرف ويكتشف حقائق تلو حقائق ضمن المعرفة الإنسانية في هذه الحياة الدنيا، إنه مشعل الفكر والثقافة معاً لتفتيق الذهن الإنساني والفكر البشري، وإنه الأداة المباشرة في تهذيب عقل المفكر وذهن المثقف وتربية الروح النفسية في كل منهما، إنه البوابة الكبرى لحصون الفكر وصروح الثقافة، وهو العلاقة البارزة في عالمهما الرحب ودنياهما الواسعة.. إنه بشكل البحر الزخار في هذه العوالم الفسيحة من الوجود الفكري عند الإنسان والحضور الذهني عند الفكر الاجتماعي. لقد حطم الأدب الحر مغاليق العلم والفكر والثقافة وفتح الذهن الإنساني ليكتسب هذه الفنون المعرفيّة ببيانه وأسلوبه وحسن منطقه وبلاغته، وهو في هذا السبيل قد شجب الجهل والضلال في الأنفس التي حرمت من نعمة التفكير والثقافة فراح يشعل الطريق ويضيء الدرب أمام الحائرين لاكتساب العلوم والثقافات بوساطته المعنية ومن طريقه الدال على الخير والنور والحق، وإنه يمثل جسر الصداقة بين الإنسان من جهة وبين الفكر والثقافة من جهة أخرى فربط ما بعد عنهما وراح يقرب ما فرق بينهما فكان الوسيط الخير وكان المرشد الهادي إلى حقائق الأفكار وأنوار الثقافات ليطوي المسافات البعيدة كطي السجل للكتاب ومسح المساحات الطويلة ليختصرها ويقربها عن كثب في سبيل بناء كيان معرفي إنساني شامخ وصرح علمي بشري رفيع. لقد رفع الأدب لواء المعرفة والإدراك حينما قام بتقريب الثقافة إلى المفكرين ورفع علم العبقرية ما قرب الفكر والثقافة. باختصار إنه شمعة في كيان وزهور وورود في بستان، والأديب والمفكر والمثقف هم رواد هذا الكيان والقائمون على عمل هذا البستان..

# ثقافة الأدب

تعددت أجناس الثقافة وأغراضها في مجالات كثيرة وذلك بتعدد مصادرها وموحياتها، ولعل الأدب يشكل الجنس الثقافي المميز في العصر الحاضر خصوصاً إذا اتفقنا جميعاً على الدور الحياتي للأدب فيما يعود على المجتمع الإنساني المعاصر من نفع وكسب اجتماعي، وبالفعل فقد بت مدركاً الآن ما للأدب من قيم نفعية بالإضافة إلى قيمه المعنوية.

ولا يعني ذلك الاتجاه بالأدب نحو المادية الباحثة بل إن الحياة تتطلب من الناس السعي بالمعنى نحو المادة أحياناً ـ وهذا واقع ضروري لاستمراريتها ـ بعد إدراكهم أن الحياة هي روح ومعنى وقيم.. وينجم عن ذلك نتيجة مرضية للنفس مثلجة لا في شخص الإنسان الأديب والأديب المثقف وهو إنسان الحياة الجمالية في صورة العصر، تلك النتيجة هي قبول الأدب ثقافة في دنيا العلم وحياتها الرحبة، لأن للأدب علماً يُعيِّن أصوله ويحدد أساليبه ويكشف عن أهدافه في الحياة.

وهكذا تم الاعتراف بأهمية الأدب بجوار العلوم ومنافسته لثقافات الأمم المختلفة وعد علماً برأسه وتخصصاً في مجالاته، أفلا

يشار إليه أنه مجال لثقافة شاسعة الرحاب وبعيدة الحدود وجمة الأهداف ومتعددة المناحي والغايات؟

الأدب ثقافة ـ إذن ـ وهو جزء من كل والثقافة كل يكون الأدب الجزء الروحي والقلبي فيه، وعلينا إدراك مثل هذه الحقيقة وجعلها فكرة من أفكارنا المهمة في الوجود لأن الأدب طاقة حيوية في إذكاء روح الإنسان لحياته وعمله، وهو قوة تدعم نشاط الإنسان متى تذوقه وأحس بالفن في أي جنس من أجناسه وغرض من أغراضه وعرف من خلال قراءته لأعمال رجاله ونسائه أنه جهد حي يعبر عن خلود روح الآباء، كما أنه استلهام لمعرفة جمال الوجود و الحياة فهو ثقافة آية في الروعة والإبداع وفي التصوير الموفق لمجريات الحياة العجيبة، وهو غذاء عقلي مفيد ومكسب للنفس الإنسانية، وجمال وطاقة حية للروح البشرية في كيان الإنسان، هذه قيمة الأدب السامية في روحه وجماله وما يعود على متذوقيه من معان وقيم، وله قيمة ثقافية علمية كاللغة في ألفاظه والصور في أفكاره والعبارات والجمل المعبرة في فصاحته ودقة بيانه، أخلق به من أدب ثقافي ينعش القلب والفؤاد ويرهف الإحساس والشعور لمعرفة المجهول في ظاهر الكون وإدراك الجمال والأسرار الغريبة فيما احتواه، وأجمل به ثقافة علمية جادة وقت الجد وساخرة مضحكة حين تدعو الظروف القاتمة في وقت الإنسان متى حار وفي نظره متى تعكر أو اربد وكلح. ألا يجدر بنا اتخاذه رفيقاً لكتبه وعلماً لثقافته وتجربة من خلال مصاحبة ذويه وأنه الذخيرة التي لا تشرى ولا تنفد وإنما تكتسب بتذوقها ومعرفتها وإدراك جمالها ومعانيها ومعرفتها وإدراك جمالها ومعانيها. إنه التراث الحضاري للأمم والجوهر الفكري للبشر والغذاء المعنوي للناس. إن الأدب تراث الإنسانية الخالد المعبر عن ذكاء ونبوغ الموهوبين والكاشف عن إبداع الفنانين

والموحي للشعراء بتغني الوجود في جماله والتعبير عن المآسي عند المحرومين، وهو جسر يعبر من فوقه المساكين - وما أكثرهم في الحياة - نحو شواطئ الحرية والسعادة والهدوء. بالإضافة إلى ذلك فإن للأدب تأثيراً في متلقيه وقرائه يفعل في كيان الإنسان الحي فعل الكهرباء في الأسلاك المضيئة للشموع. إنه نور وسناء لبصيرة الإنسان ومقود له في ظلمات النفس متى يئس صاحبها من المضي قدماً في مرحلة حياته في الوجود المعنوي. إنه للباصرة كالعقيدة للقلب وهو للتفكير كالملهم من الطبيعة لأي فنان في الحياة أدرك أسرارها الجميلة وعجائبها المخبوءة وكشف عن كنهها الغريب.. وإن الأديب بأدبه فنان كالرسام بريشته ومفكر كالفيلسوف بمنطقه والحكيم بعقله والمنطقي ببيانه. والأديب إنسان يملك موهبة ربانية وإلهاماً طبيعياً وإحساساً حياً يقظاً، كل ذلك يجلعه مبدعاً مثقفاً ومصلحاً اجتماعياً وفناناً رائعاً جميلاً كأي ظاهرة حية في الوجود وهو المثقف لغيره والمثقف بوعيه وفهمه وإدراكه واستيعابه. وللأدب والأديب رسالة علمية وخلفية قوية للأحياء في هذه الحياة: الأدب سبب والأديب مسبب، والأدب فن والأديب هو العارف بالفن البصير به وكلاهما مهم للفكر الإنساني، وما أجمل الأدب والأديب في تأمل ملكوت الله والتعبير عن الكائنات الطبيعية والإثراء للخيال الإنساني سواء من قصيدة شاعرية أو من قصة فنية أو من مقال إصلاحي أو أي تعبير آخر جميل عن الشعور النبيل وهدفه التوعية والإفادة والتصوير للناس بمختلف طبقاتهم أفراداً وجماعات وذكوراً وإناثاً وكباراً وصغاراً جدداً ومحدثين.

إن الثقافة الأدبية والأدب العلمي والفكر الفني وسائل للهدف الأسمى في الحياة وهو يتلخص في التعريف بالحياة نفسها وبخلفياتها وبما تنطوي عليه الحياة من جماليات وكماليات، وفي

ذلك تجميل للنفس والضمير وتعبير عن الخاطر والمشاعر وتوصيل للمعاني والأفكار والقيم والمثل، والأدب لغة موحية وأسلوب معبر وحديث أو كلام مبين، وما أحراه لساناً فصيحاً وبياناً ذائعاً وفناً رفيعاً بديعاً وبلاغة واضحة. والأديب عامل نابغ وفطن فاهم ومفكر واع، هو الشخص القادر على انتزاع التعبير عن الجميل في مظاهر الحياة والطبيعة والوجود من قلوب الآخرين غير الموهوبين بالإحساس دون تعبير والشعور دون محرك والوعي دون فهم، فيأتي الأديب شاعراً بذلك فيلسوفاً له واعياً به معبراً عنه أحسن تعبير وأدق وأروع حديث وأجمله وخير كلام وأطيبه. هذه هي ثقافة الفن وحكمة الفكر وسعادة النفس تبرز في الحياة المعنوية بلا مادة وتعطي ذلك للناس بلا ثمن.

إن الثقافة يجب أن تكون شاملة وليس يدرك ذلك إلاّ بالأدب الأصيل الرائع الممتاز الفني المبدع.. وثقافة الأدب هي أم للفنون الجميلة والعلوم الإنسانية وما أنضرها في النفس وأجملها في الروح وأرقاها في الفكر وحسبنا أن ندرك ذلك جميعاً ونفهمه سريعاً.

# أدب الثقافة

الثقافة فنون من المعرفة وألوان من الفكر وهي مجال فسيح للعمل الفني والإنجاز الإنشائي.. وللثقافة جوهر ثمين وركن أصيل هو الأدب الإنساني..

فإذا كان للمعارف والمعلومات والأفكار ما ينسقها ويفتن فيها فما ذلك سوى فن الأدب وأسلوبه الرفيع وكاتبه المبدع ودارسه المتقن وناقده البصير ومتلقيه الواعي.. والثقافة والأدب شقيقان توأمان يعرف كل منهما بالآخر فإذا ذكرت الثقافة قيل الأدب وإذا ذكر الأدب قيل الثقافة.. لأن الأدب هو زينة الثقافة وبذلك تكون الثقافة مدينة للأدب، تارة بالأسلوب الفني وتارة أخرى بالمعاني والأفكار والأحاسيس والشعور.. وقمة ما تكون الثقافة رائعة حينما يزينها الأديب بأدبه والكاتب بإنشائه والعبقري بنبوغه والفنان بفنه.. وكل من الكاتب والعبقري والفنان إنما هو الأديب نفسه، وبذلك يكون الأديب مثقفاً كبيراً وثقافته عالية متنوعة، وقديماً قيل إذا أراد المرء أن يكون عالماً فليتخصص في فن واحد من المعرفة وإن أراد أن يكون أديباً فليطلع على كل المعارف..

إذن فالأديب مثقف وليس كل من تثقف بمعرفة واحدة يكون أديباً.. والأديب على ذلك يكون مثقفاً موسوعياً ودائرة معارف متنوعة يقطف من ثمرات التراث الإنساني قديمه وحديثه، كثيره وكبيره، جميله وجليله، رائعه ومبدعه، فإذا أخذ من الشعر فلينل من النثر وإذا قرأ التاريخ فليطلع على أخبار البلدان وإذا أراد الفكر فلينظر في الفلسفة ومنطق الكلام وهكذا دواليك.

ومن هنا يمكن القول إن المثقف لكي يصبح متفنِّناً في ثقافته ومعارفه وعلومه عليه بالتخصص والتضلُّع من الأدب، ينهل من معينه ويرتوي من نميره، الأمر الذي يجعله عارفاً بفن الكلام وجميل القول وعظيم التأليف ورائع الكتابة والإنشاء.

إن أي ثقافة إنشائية في الوجود المعنوي الفكري قد بنى جانباً منها الأدب ودعمها بفنونه الجميلة ومعارفه الإنسانية الشائقة الرائعة وأضاف إليها من روعة بيانه الشيء الكثير.. والأدب نفسه مدين للثقافة بهذه الفرص الطيبة ليأخذ دوره في بناء الفكر الإنساني حينما يخدم الثقافة ويمنحها بعض أشعته النورية وأضوائه المشرقة في عالم الفن والخير والجمال، فتضاء الثقافة ـ عندها ـ بنور الأدب وتنشر ببهائه وضيائه فيقبل عليها القراء والمتعطشون إلى المعرفة بنفوس راغبة وأشواق هائلة وإقبال منطقع النظير. ولعل في هذا نفحة من نفحات الأثر النبوي الكريم في ثقافتنا حينما قال عليه السلام: (إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة). فالثقافة قطع أدبية والأدب ثوب الثقافة وحليها وجمالها ونورها.. الثقافة كيان معرفي وعلمي والأدب فؤاده النابض وجوهره الثمين وروحه الحية، الثقافة فكر والأدب فن هذا الفكر ومنطقه البياني الرائع الفصيح، وطالما أذيعت الثقافات وانتشرت في الآفاق والعالم بسحر الأدب وبيانه وفنيته

ولسانه. إن كلاً منهما متمم للآخر ومكمل له في عالم القيم والمعاني والمبادئ السامية الرفيعة هذا يروج للشعر والنثر وفنهما وتلك ـ الثقافة ـ تذهب للفكر وتمده وتستمد منه.

وإذا كان دور الأدب نشر الثقافة فإن دور الثقافة احتضان الأدب وتبنيه كجزء منها مرتبط بالعلوم والمعارف والمدارك الإنسانية في دائرة الثقافة والفكر والتراث والفن.. وإذا كان على الأدب تشريف الثقافة بخدمته الإعلامية والإعلانية لها فإن على الثقافة أمانة اتخاذ الأدب جزءاً لا ينفصم عنها، وهذه العلائق بين الثقافة والأدب لخصيصة من خصائص الاثنين وسمة من سماتهما الرائعة المتبادلة، وكلاهما شيء واحد في دائرة الفكر الإنساني وفلكه الشاسع الدوار..

إنهما تراث الأمم والشعوب يرثه اللاحق عن السابق ويسلِّمه الأول للآخر والقديم للحديث والماضي للحاضر والحاضر للمستقبل وهكذا..

وهما أيضاً أعمال فنية وإنجازات فكرية يحتويها الجهد الإنساني ووعي الضمير الداخلي للفرد والجماعات من بني البشر، وكل مجتمع إنساني لا بد أن ينال منهما ما يدعم به كيانه العلمي والمعنوي خصوصاً في التاريخ الحضاري للمجتمعات البشرية في كل مكان وزمان.. وكل مجتمع مثقف فهو حضاري النزعة والخلفية وكل مجتمع متحضر فقد نال حضارته من الثقافة والأدب والعلم بجوار الثروة والمادة والمال..

وللثقافة وآدابها جانب معنوي روحي هو دعامتها وسر قوتها وبقائها ألا وهو القيم الدينية والروحية والمعنوية، وهو جانب مآله

العقائد الصافية والروحيات النظيفة يتنزل أمرها من عند الله في السموات العلى..

ومتى دارت دواليب الثقافة والأدب بلا روح فاعلم أن لا أخلاق لها، ومتى سار المثقفون والأدباء بلا خلق فقد ماتت ضمائرهم وكلت بصائرهم.. إن الجوانب المعنوية في الآداب والثقافات أمور مهمّة ينبغي المحافظة عليها وتطبيقها على مادية هذه الفنون المعرفية والعلوم الإنسانية بمعنى تدعيم الفكر الحسي بالمعاني والقيم والأدب المادي بالمبادئ والأخلاق والصور الحسية بالمثل العليا والأسس السامية.. عندها يستقيم أمر الثقافة ويصلب عودها وتقوى شوكتها على مر العصور والدهور وكر الليالي والأيام..

وليس الأدب بالنسبة إلى الثقافة أسلوباً جميلاً وألفاظاً فصيحة وحسب، بل أدب الثقافة الحق في جوهرها الروحي وثمنها المعنوي وروحها الأصلي ودين ذويها المتبع وعقيدتها الصحيحة، وليس هذا الجانب تعبدياً تقليدياً بل إنه عقيدي إيماني حق وصواب وبذلك كان أمر الله وهدي رسله وسنة أتباعهم من بني البشر والمصلحين من الأمم والشعوب في كل الديانات السماوية المتنزلة على الأرض..

إن أدب الثقافة كثقافة الأدب، الأول منها والثانية متصلة به بمعنى أن أدب الثقافة جزء من الثقافة وثقافة الأدب أمر مرتبط به ورهينة له.. وكلاهما من المعارف والعلوم الإنسانية الحيوية البناءة المعطاء..

# حياة الأدب

للأدب حياة معنوية وروح حيوية يعيش بها الأديب في فهمه ووعيه لحياة الكون والناس والطبيعة وتصوره للوجود والأحياء وفلسفته تجاه الجمال والخير والحق وسائر القيم المعنوية في العالم الحياتي، وهي حياة يغمرها فن الفكرة الأدبية وأسلوب الأدب الجمالي ومضمونه الواعي وصورته المشرقة، وفي هذه الحياة الأدبية يعيش الأدباء دنياهم الفكرية وعالمهم الثقافي وفنهم الجمالي ومعيشتهم المعنوية.

وحياة الأدب المادية فيها الفكرة العقلية وروحها الشعور النفسي الإنساني العميق وتصورها الخير والأمل للناس والمحبة والود للأحياء جميعاً، أما شعارها فهو التذوق الفني للجمال والحياة والوجود، وكما يكون الهدف من وراء الأدب هو التعبير النبيل عما يحسه الأديب يكون لهذا الأديب هدفه السامي في حياته وهو علاج الداء المعنوي في نفوس البشر وتقريبهم لحياة ملؤها السعادة والخير والجمال، كما أن حياة الأدب تعني وجود الأديب الحيوي القادر على العطاء المثمر والتفكير السليم والعمل البناء على منهج علمي

وفني لهدف نبيل سام وغاية خيرة منشودة هي طرح الألم عن نفوس الناس وتجنيبهم المكاره ورفع هامتهم في حياة طيبة يغمرها التعاون ويسودها الحب الصادق وتتلاشى فيها الأنانية والذاتية والكراهية. إن الأدب يجب اتخاذه وسيلة لحياة إنسانية مشرفة ولأهداف نبيلة فيها ورغبات صادقة لدحض الجهل ونشر الثقافة والعلم واطراح الفساد ونشر الإصلاح في الأرض وسيادة الحرية والعدالة والحق والخير فيها. الأدب قيمة عليا ومثل سام وكلمة طيبة ووعي سليم للحياة وفهم جميل للدنيا واستيعاب فاهم للوجود، فيجب على الأديب احتمال الجهد في سبيل تحقيق الهدف الأعلى في هذ الحياة الأدبية ألا وهو رفع كلمة الله ونشرها بين عباده وإلجام كلمة الشر والسوء وإزالتها من قاموس المجتمع والناس والأفراد والجماعات والبشرية في كل مكان وزمان. الأدب نور في القلب وصحة في التفكير وحيوية في النفس وجمال في روح الأديب الحق والفنان الواعي.

لذلك يجب على الأديب الإخلاص في حياته بالاطلاع المستمر والقراءة الراشدة والتبيين المبين والتعبير الجميل والمشاركة في الجهاد بالقلم والكلمة والفكرة في معركة الحياة الكبرى ألا وهي نصرة الله والرسل والأمة والدعوة إلى الحياة الحقيقية وتطبيق مبادئ الخير والحق والجمال والأمل والحب فيها.

إن حياة الأدب جميلة بمثل هذه القيم الروحية والفكرية والأدبية والفنية، وحياة الأديب جميلة بالسمو الروحي والثبات الأخلاقي والسلوك الحسن وحب المبادئ والأسس الحيوية في الوجود وتطبيقها في الحياة المادية والمعنوية معاً ليكون الإنجاز الأدبي عملياً والتطبيق الفكري فاعلاً.

إن فكر الأديب يجمل به التفهم الواعي والتبصر الفاحص والتأمل

العميق في الكون والحياة والناس، ونفسه يحسن بها السمو والإيثار على الآخرين والطيبة والألفة والكرم وإفشاء السلام الروحي والمادي لهم، وقلم الأديب أخلق به أن يشيد صروح الفكر الخير والأدب الهادف والفن النبيل بتصوير أخاذ وأسلوب بديع ومنهج يسير سهل وطريقة إنسانية جميلة بروح جماعية وجهد مخلص وعمل بناء وإنجاز شامل للمطلوب في الحياة والمعاش.

وليس الأدب وسيلة للترف أو الحرب النفسية وإطلاق الشتائم على البشر أو مجابهة الناس بالكلمة الخبيثة أو الحرف الشرير والكلام السيئ.. إن لم يعرف حقيقة الأدب وجماله وخيره لن يعرف حياته الجميلة وعالمه الرائع ودنياه الشائعة الطيبة. أما الكتابة والتشدق بها والمفاخرة فهي ليست أدباً أو فكراً أو ثقافة بل هي كالسراب يحسبه الظمآن ماء، وكذلك هجاء الناس وشتمهم بوساطة الأدب فهو فحش القول وسوء السلوك وفساد الطوية في أنفس ذويه الذين لن يعتبروا أدباء بأي حال من الأحوال أو ظرف من الظروف مهما علت أنسابهم وكثرت شيعهم فرقاً وأحزاباً أفراداً وجماعات.

حياة الأدب أجمل وأسمى وأروع من هذا كله إنها الخير العالي والحب الصحيح والحق الصريح.

إن ما يميز هذه الحياة في الأدب والفكر والفن والثقافة هو الصفاء والنبل والكرامة والطهر والصدق والتفاني والإخلاص والرضا وغنى النفس الأديبة وثروة روحها وعلو منزلتها في هذه المعاني القيمة والأفكار المعنوية من خلال الحياة الأدبية الجميلة، إنها عوالم رحبة ودنيا خصيبة وأكوان عظمى ووجود ممتد شاسع واسع بديع.

وقد صدق عبد الملك بن مروان حين قال موصياً بعض ولده: يا

بني تعلم الأدب ـ أو قال الشعر ـ فإنْ لم يكسبك مالاً فسيكسبك جمالاً في نفسك، إنها وصية أدبية فكرية رائعة جميلة وهي تكون كذلك لمجيئها من عارف مدرك وفقيه واع، عرف حياة الأدب وتذوقها وأدرك جوهر الأدب بمقولته على أقل تقدير. إن ابن مروان بالذي قاله لأديب فنان ومفكر مبدع، والأديب الأديب من طبق من الناس مقولته وجعلها وصيته كما فعل وعمل وأنجز بإيجاز.

# الثقافة قيمة نشاطنا

العمل الإنساني في الحياة مطلب طبيعي ومسلك نبيل يتخذهما الإنسان وسيلة لغاية تتفق مع طبيعة وجود الإنسان على الأرض وهي العبادة لله الحق، والإنسان حينما يعمل يلزمه التجدد في الفكر والجسم والنفس وهذا التجديد يحاز عليه بالثقافة التي هي المعرفة العامة في الكون سواء معرفة الله وكذا رسالاته السماوية ومخلوقاته وما رزق به الأحياء في هذا الوجود الكوني الفسيح.. وبالتدريج في معرفة هذ الأمور الأساسية للثقافة الإنسانية على وجه البسيطة تتنوع الثقافات في مجالات متعددة وتخصصات عديدة وأخرى كثيرة وعظيمة يحاول الإنسان معرفة ذاته ومساعدته بالوعي الثقافي لإدراك هذه المعرفة الخاصة به وبمن حوله ممن يعيش بين ظهرانيهم وفي وسطهم الاجتماعي والإنساني والحيوي. بوجه عام إن ثقافة الإنسان ملزمة له بإدراك معاني حياته العملية والفكرية والاجتماعية ومن خلال هذه الثقافة يستطيع الإنسان أن يكون له استقلالية في الكيان والمجتمع والوجود كما أن بمقدوره أن يشكل تصوراً إنسانياً حيوياً رائعاً في الحياة والذات والروح والفكر وكيانه الخاص.

ولهذا الأمر ينبغي على الإنسان إيجاد حيز من التفكير ولا يتأتى له ذلك إلا بالثقافة حتى يدرك ما له وما عليه حقوقه وحقوق الآخرين تجاهه في أنماط من التبادل الاجتماعي بينه وبينهم وفي أشكال من التعاون الإنساني والأخوي هو معهم وأينما كان وكانوا في هذا الكون المتسع الرحاب. ونشاطه العملي كبشر مرهون بتجدده بوساطة المعرفة والثقافة حتى ننجز أكثر وننتج أكثر ونستمر في الحياة الإنسانية بموجب النواميس الإلّهية والكونية والأرضية في الوجود الكبير، وهذه أمور تتم بالمدارك التي تصقلها المعرفة وتشحذها الثقافة وتهذبها الآداب وتحسنها الفنون حتى ينبغ الإنسان على وجه الأرض وهو يدرك سر وجوده ولغز حياته وطلسم الحياة المغطاة الذي لا ينكشف لهذا الإنسان إلاّ بجهده ونشاطه وعمله.

وليس من المعقول أن يفكر الإنسان بلا معلومات يؤطر بها التفكير والتأمل ويرسلها كقرائن بين بنات فكره، وهذه النقطة مهمة في تفكير الإنسان وثقافته والأهمية فيها أن يكون للفكر سعة للمعلومات المقارنة لاختيار الأفضل للظروف التي يمر بها الإنسان في أعماله وسعيه في الحياة، وينتج بذلك موقف بناء ينطلق منه هذا الإنسان للتعبد لله كما هو محكوم به إزاء خالقه، ومن هنا يدرك الإنسان قيمة نشاطه في الحياة وأهمية دوره فيها ولعله يجد نوعاً من الارتياح الممتع لذهنه حين يكل ونفسه عندما تتعكر وجسمه حينما يتعب ويضنى.. ومن هنا أيضاً تظهر قيمة الثقافة الإنسانية في الوجود الحياتي لهذا الإنسان الفرد أو للمجموع الاجتماعي الكبير والأمة البشرية بلا حدود زمنية تاريخية أو مواقع مكانية جغرافية، لأن الثقافة عرفت منذ وجود الإنسان الأول، وقد بدأ خالقه سبحانه بتعليمه ثم تدرجت الأزمنة وتطورت الثقافة لدى الإنسان ومضى التاريخ يسجل

فكر الإنسان وثقافته وعمله في الحياة بكتابة من نور.

والمدهش الذي يشكل مأساتنا العصرية أن كثيراً منا لا تروقه الثقافة ولا تعجبه، ومع هذا يصر الكثيرون على استبدال أنشطة أخرى لتقوية العمل الحياتي واتخاذ أمرين كالرياضة الكروية والفن الغنائي بديلاً عن الأدب والفكر والثقافة، الأمر الذي يصيب رجال الثقافة والمتخصِّصين فيها بنائبة معنوية لإنتاجهم الفكري وعملهم الفني وأدبهم الشاعري، لأن البضاعة الرائجة في سوق النشر الآن هي الرياضة والفن إلاّ أن التعمق في الفكر حول هاتين الظاهرتين ينبئ أن الأصالة والحق وحب الجمال والخير ـ وهذه أسس الثقافة والأدب ـ لا تزال هذه العناصر بخير وإن تدخل المتطفلون أحياناً في مجال النشر الثقافي والأدبي إلاّ أن ذلك يُعتبر كظاهرة من ظواهر سنة الحياة وناموس الطبيعة في الحياة الإنسانية حيث يزحف الضعيف نحو القوة والدخيل إلى الأصيل والخارج إلى الداخل وهكذا دواليك، أما آداب الثقافة وفنونها الفكرية فستظل ماضية قدماً في المسار الحياتي لنا كأمة جبلت على حب المعرفة ووعي الثقافة وطلب العلم.. الأمة التي شرفت بالرسالة السماوية المنزلة على نبينا المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ و﴿**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ و﴿**وفوق كل ذي علم عليم**﴾ فالثقافة هي قيمة النشاط الإنساني العملي في الحياة وهي رهانه الحضاري في الوجود كما يقول الشاذلي القليبي في كتاب بهذه العبارة: «الثقافة رهان حضاري».

# أزمة أدباء لا أزمة أدب

في الوقت الذي يندب المثقفون على أزمة الأدب الفكرية، على كثرة الإنتاج المطبوع غير المميز بالجودة بالقياس إلى المعايير النقدية المعاصرة لهذا الأدب، فإن الأزمة كامنة في رجال الأدب ونسائه، إذ إن الإنتاج الثقافي العربي اليوم يعاني من الأشخاص وليس من الفكر ومن قلة المبدعين وليس من الإبداع ذاته..

وهذه أزمة حقيقية على النقاد علاجها.. ومن أسباب هذه الأزمة عدم التقويم النقدي الراصد، وقلة المبدعين من ورث الأدب الكلاسيكي.. وانصباب وسائل الإعلام المختلفة على أحداث العالم السياسية والاجتماعية دون تركيز مخصص وداعم للأدب..

أما القراء فإنهم في نظري ليسوا سبباً في هذه الأزمة.. لأن ما يقدم أصلاً غير جيد، وأعتقد أن هذا الجيد لو وجد فسترى القراء يلتهمونه. ولعل هناك سبباً آخر للأزمة الأدبية في العالم العربي ألا وهو قلة وندرة النقاد الدارسين المستوعبين والمتخصصين والمتابعين لما ينشر ويكتب ويطبع والراصدين للقيمة العليا في الإنتاج الأدبي..

وليس ثمة أعظم خطورة على الأدب العربي من مثل قلة وجود المبدعين فيه لأن الأدب لا يعيش أزمة ذاتية فهو كامن في الحياة والكون وفي الإنسان أيضاً..

سيدي الأدب:

ظلموك كثيراً.. وهم يرونك في الإنتاج الصميم الخالي من الإبداع!

ظلموك حينما عنوك والأولى عناية الأدباء!

ظلموك عندما وجهوا إليك تهمة الأزمات الثقافية.. فهل كشفوا عن فكرهم ومدى ثقافتهم اليوم من التراث والمعاصرة؟!

سيدي:

لا عليك فالإبداع كامن فيك كمون الروح في الجسم الحي.

لا عليك سيدي.. فالعارفون بك يقدرونك مهما بلغت قسوة الدهر..

سادتي الأدباء

سيداتي الأديبات:

هل عالجتم مشكلات الإنسانية اليوم؟ هل لامستم خير البشرية في سيرها نحو الخلود؟ هل أدركتم القيم الروحية في الوجود؟ هل شخصتم شيئاً في ذواتكم..؟

التاريخ سادتي وسيداتي لا يرحم فاستدركوا موضوع أزمتكم وليس أزمة الأدب المظلوم.

# في الثقافة الإسلامية المعاصرة

إن الحديث عن الثقافة الإسلامية المعاصرة ليس إلاّ حديثاً عن التاريخ المعاصر لثقافة الأمة المسلمة وتكوينها الحضاري وواقعها الفكري ووضعها الأدبي الإسلامي. وقد سطر المفكرون الإسلاميون المعاصرون كتباً ومؤلفات في الثقافة الإسلامية: عقيدة وديانة وفكراً وحضارة ومنهجاً وسلوكاً وقيماً وأهدافاً. فنجد لدينا في العالم الإسلامي الكبير أبا الأعلى المودودي وأبا الحسن الندوي وسيد قطب ومحمد قطب ومحمد المبارك وعلي الطنطاوي وأبا بكر الجزائري وأحمد محمد جمال وسيد سابق وعبد الكريم عثمان ود. محمد صادق عفيفي وعمر عودة الخطيب وغيرهم كثير. وإن محور ما سطروه هو الكتابة عن قيم الفكر الإسلامي ومبادئ الدين الحنيف وتيارات التغريب وتأثر الثقافة الإسلامية بالثقافة المعاصرة. وكان منهجهم منهجاً علمياً بأسلوب أدبي حديث وطريقتهم طريقة تأليفية وكتابية ميسورة وسهلة لأنك لن تجد أسلوباً فلسفياً عميقاً وإنما هو البسط الأدبي الكتابي الجميل. وقد قررت بعض الجامعات العربية والإسلامية كتباً من هذه الكتب في الثقافة الإسلامية مادة ومقرراً في أقسام الشريعة واللغة العربية والإسلامية وأصول الدين كما هو في مصر والأردن وباكستان وفي جميع أقسام الكليات الجامعية كما في

جامعات المملكة العربية السعودية. والبحوث المكتوبة في الثقافة الإسلامية هذه تنحصر في الأمور الآتية: العقيدة والتربية الدينية والتاريخ الإسلامي تقريباً. وهناك أمور أخرى متعلقة بهذه الأصول وليست أصلاً. وتجد في كتب أحمد جمال وعبد الكريم عثمان عن الثقافة الإسلامية وبعض كتب سيد قطب وأخيه محمد قطب وغيرهما في مختلف جوانب الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية مواضيع تكتب في بعضها وتعاد الكتابة في المواضيع نفسها في بعضها الآخر، فقام أستاذ في الثقافة الإسلامية بالعناية بكتب هؤلاء وغيرهم ونسقها وهذبها وبوبها ورتبها وأصدر مجموعة متكاملة في الثقافة الإسلامية المعاصرة في كتاب من ثلاثة أجزاء كبار باسم (الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية) وهذا الأستاذ هو الدكتور محمود الخالدي جزاه الله خيراً على ما قام به، ويا ليت جامعاتنا في العالم الإسلامي الكبير تأخذ بهذا الكتاب لتقرره في مادة الثقافة الإسلامية فهو كتاب جامع مانع، ومن ثم فمادة الثقافة الإسلامية مشتملة به وبمواضيعه، ولن تعود هناك حاجة إلاّ للرجوع إلى كتب الثقافة الإسلامية الأخرى كمراجع فقط وليس كأصول ومقررات.

إن الثقافة الإسلامية باحتوائها على التراث الديني والتربوي والعلمي والتاريخي لأمتنا لهي ثقافة غنية ثرية. وإن الثقافات العالمية تعددت اليوم اتجاهاتها وتبلورت مناحيها واختلفت وكثرت أهدافها كما تعددت أساليبها وطرق بحثها. وهذه ركيزة على المثقفين المسلمين الالتفات إليها للتنبه والحيطة مما قد يؤثر في الشباب المسلم المعاصر من روافد تلك الثقافات خصوصاً وأن العصر الحديث يتميز بوسائل سريعة لانتشار المعرفة والثقافة والعلم. وفي رأيي البسيط أن كتب الثقافة الإسلامية المعاصرة ينبغي لها الأخذ بعين الاعتبار لا للتراث وحده بل للمعاصرة الفكرية العالمية اليوم

أيضاً. ولا يعني ذلك خلو هذه الكتب من المتابعة الدولية مرة واحدة، بل إن على الراصدين للمناهج الثقافية الإسلامية مراعاة تجدد العصر حتى في الفكر، الأمر الذي يجب الالتفات إليه. وفي رأيي البسيط أيضاً أن كتب الثقافة الإسلامية في الجامعات، أي في بعض المعاهد والمدارس الثانوية في العالم الإسلامي الكبير مثل كتب التاريخ المقررة فيها، فكما يقوم مؤلفو المقررات التاريخية بمتابعة الأحداث الكبرى التاريخية فإنَّ على مؤلفي الثقافة الإسلامية متابعة ورصد الثقافات والفكر العالمي اليوم فمن ثم تتضح الرؤية الثقافية عند شبابنا المسلم وتتجدد الحيوية في التراث ومسايرته للمعاصرة وما هو صالح منها أخذنا به وما هو باطل تركناه ونبذناه.

وقضية أخرى في الثقافة الإسلامية المعاصرة هي الناحية التربوية التعليمية، فأذكر أن هناك كتباً مفيدة في هذا الصدد، ففي تاريخ التربية الإسلامية وقيمتها ومبادئها نجد مؤلفات رائعة مثل كتاب (التربية في الإسلام) للدكتور أحمد فؤاد الأهواني وكتاب (التربية الإسلامية وفلاسفتها) لعطية الأبراشي وكتاب (منهج التربية الإسلامية) لمحمد قطب، وهذه وإن كانت كتباً تربوية دينية فإنها جزء لا يتجزأ من ثقافتنا الإسلامية المعاصرة.

هذه أهم معالم الثقافة الإسلامية اليوم، وبودي أن يكتب كل المؤلفين أو بعضهم من الباحثين في الثقافة الإسلامية في الجامعات والمعاهد العلمية والمدارس الثانوية في العالم الكبير في الصحافة اليومية عن رؤيتهم تجاه الثقافة الإسلامية واستمداداتها التراثية والتاريخية من القراء والمثقفين والطلاب الجامعيين ليروا الجديد عند أساتذتنا المفكرين الإسلاميين والمؤلفين في ثقافتنا الإسلامية المعاصرة.

# الدور الثقافي

لم تكن الاتجاهات الفكرية للثقافة والأدب لتوجد لولا سعة الحياة وتنوع مظاهر الكون وإيحاءات الطبيعة ووجود المجتمع الإنساني وما ينشأ عادة عقب هذا الوجود الاجتماعي للأمم الإنسانية والبشرية جمعاء. وقد دعت الحاجة الفكرية للثقافة إلى تحديد وتنويع الأغراض والأجناس فيها وتوسيع دائرة الفكر الإنساني لتستوعب مظاهر الحياة والإنسان والكون. ولعل أعظم نعمة على الإنسانية هي طبيعة العقل والتفكير ما دعا المثقفين في كل أمة إلى تأصيل النتاج الفكري لثقافتهم وتصديره جديداً إلى كل قارئ. ومن هنا جاءت الأصالة الثقافية التي تبرز نفسها وتدل عليها تلقائياً دون دعاية أو تشهير، الأمر الذي خلد الأعمال الأدبية الجيدة والنتائج الفنية الرائعة.

وعلى قلة هذا الامتياز والجودة والروعة فإن هناك تشابهات من الأعمال الزائفة وقفت قليلاً ريثما تعطي أكلها لحظات ثم تتلاشى ولا يبقى لها أي أثر، وهذه حالة مستثناة لا حكم لها على الرغم من ملاقاتها للسمعة والدعاية وكونها تنال حظاً لكنه غير خالد.

إن تأصيل الثقافة أمر حيوي وضروري معناه إسباغ الحياة في الفكر الثقافي وتجديد حيويته والنفوذ إلى أعماق الوعي العلمي لدى الإنسان لأن تلقي العمل دون أصالة لا يضيف جديداً إلى هذا الإنسان ويذهب جهده هدراً في هذا التلقي إذا هو لم يستفد شيئاً ذا بال.

وهذه في الحقيقة ظاهرة يجب معالجتها، وإبراز دور الأصالة في الأعمال الأدبية أمر ضروري لدى المعنيين بقضايا النقد والتأصيل حتى ينشأ العمل الأدبي الجديد ذا روح خصبة تقدر على مواجهة مشاكل الإنسانية والتعبير عن خير البشر ومظاهر الكون والأحياء.

لقد نجم عن العصور باختلاف ظروفها وإمكاناتها المادية والبشرية نوع من الظواهر السلبية، ولا شك أن الإنسان هو المسؤول الأول عنها لأنه الخليفة على الأرض والوارث فيها عن الله، ولكن بدلاً من استدراك الخطورة تعددت الطروحات وتنوع التناول وراحت كل فئة تبحث عن الحل الأمثل لمشاكل البشر دون التوقيع على اتفاقية للعمل الأدبي يكون بموجبها العمل مؤصلاً ميسراً جديداً قوياً يتناوله القوي والضعيف والبعيد والقريب، وجاء آخرون من المنتجين لم يعوا دورهم في الحياة الثقافية فنجمت ظواهر السلبية بعد ذلك.

إن على الثقافة الأخذ بالفرد الإنساني إلى شاطئ السعادة الواعية والفكر الحي والفن الجميل والأدب الصافي، وإن على المثقفين والأدباء رسالة إنسانية حية قبل حملهم لرسالة الثقافة والأدب، وإن عليهم واجب الأداء الإنساني بإخلاص، ودورهم هو العطاء الأمثل والنتاج الأفضل، وإذا كانت الحياة العصرية متطورة سهلة الإمكانات فهذا ما يؤكد جدية هذا الدور وأصالة هذه الرسالة وضرورة تبنيها

بإخلاص ونقاء وصفاء ووضوح هدف لأنها الفرصة السانحة لكل أديب ومثقف، وإذا كان الإنتاج يتكرر فإن الزمن سائر لا يتكرر.

والعمل هو الجدير بالامتياز متى أُريد له الخلود والبقاء وهذا يستوجب وعي دور المثقفين ورسالتهم في الحياة وبناء الأسس والقواعد لإيجاد أدباء أصيلين ومثقفين حيويين يحملون دورهم فيما يأتي من الزمان للآخرين من بعدهم. وهذه أمانة في الواقع حملها ثقيل ومسؤوليتها ضخمة وعملها صعب إلاّ أن وعي دور الأوائل ممن سبقوا وأدوا الدور هو أول خطوة يجب اتخاذها في هذا الدرب الطويل للحياة الفكرية والثقافية والأدبية، ولا بدّ في هذا المجال من وجوب التمسك بالقيم العليا للثقافة وتطبيق أسسها الرائعة البناءة وإحياء المبادئ والمثل الخيرة لتأخذ طريقها في العمل الفكري والأدبي في الحياة الثقافية.

لقد آن الأوان للثقافة كي تكشف للأجيال عن ضرورة إحيائها بين الشعوب وفي الحياة الاجتماعية للناس ووجوب وعي دور المواهب الأدبية بينهم لحمل الرسالة فيما يأتي من يوم الناس.

وهي مسؤولية يجب إرساؤها بالبناء والعمل ونشر الوعي الثقافي الأصلي واتخاذ القواعد أسساً لهذا البناء والعمل، ولعل الميراث الأدبي لكل أمة، وأمتنا أحق الأمم باستيعاب هذا الدور، يعطي الشجاعة الأدبية الكافية لإحياء الثقافة ونشرها وحتمية بقائها في الوعي الفكري للأمم، ونحن أعرف الأمم بدورنا إزاء الثقافة وحمل الأمانة وأداء الرسالة وتطبيق الدور.

# يموت في الثقافة

قارئ من الناس عرفته من خلال تقليبه لمجموعة الصحف التي يداوم على مطالعتها ولا شيء يروقه فيها إلاّ جانب واحد هو الجانب الثقافي..إن له قصة مع الصحف عجيبة إذ لا يقرأ فيها مثل سواه صفحات الرياضة أو الفن أو سواهما. كلا.. إنه لا يميل إلى هذه النوعية من النشر. إنه يقرأ صفحة الثقافة والفكر والأدب والمقالات اليومية وصفحة الرأي وهكذا، حتى الأعمدة الدائمة يملها إذا خلت من موضوع ثقافي أو فكري أو أدبي. والواقع أن وجود قارئ كصاحبنا عجيب في ذاته في زمن لا نرى القراء يحرصون على مثل هذه المطالعة في الصحف أو في سواها.

والذي زاد في الطين بلة عند صاحبنا أنه لا يجد من يناقشه فيما يقرأ فهو يقرأ في واد وبقية من يعرفهم ويجالسهم يقرؤون في واد آخر. فيضطر إلى شراء الكتب الثقافية ويتجول في فصولها وأبوابها حتى أن إسرافه في شراء الكتب جعله يصرف مرتبه غالباً فيها. ومع ذلك يأبى صاحبنا إلاّ الاطلاع. إنَّ الأمر لو أنصفنا هذا القارئ يدعو إلى الإعجاب لا إلى التعجب، فقد ندر بين القراء من يعمل مثله

ويتصرف مثل تصرفه، الأمر الذي يجعله قارئاً مثالياً. ولكن كيف لو أردنا أن نتعرف على خلفيته المادية! إن أكثر مرتبه ينفقه في الكتب شراء وابتياعاً! وهو متزوج وساكن بالإيجار وله أطفال. إنني بطريق المصادفة تعرفت على هذا القارئ المثالي وقد أعجبت به أيما إعجاب، ولكنني أرثي لحاله وهو يكاد أن يكون صفر اليدين من الأموال والثروات سوى عمله الذي يدر عليه قيمة الكتب والصحف ولقمة العيش هو وأطفاله وزوجته. هذه قصة حقيقية من الواقع وليس من الخيال، والذي نعرفه من ذلك هو الجانب الظاهر أمام الناس أمّا الخلفيات فلا ندري. فأين شبابنا من هذا الشاب المثالي؟ أين القراء الذين يستطيعون الإنفاق على شراء الأضعاف المضاعفة مما يشتري صاحبنا وينفق على أطفاله ولقمة عيشه؟ بل أين الذين يدركون قيمة الحقيقة على هذه الوتيرة؟ إنهم قلة بلا شك وصاحبنا يعد في مقدمتهم. فيا قراء الصحف لا تتركوا صفحات الرأي والأدب والثقافة وتلتفتوا فقط إلى صفحات الرياضة والفن والمجتمع والسياسة. إن الثقافة زاد معنوي وقيمة عليا في الحياة فجرّبوا بعض الشيء من سلوك هذا القارئ المثالي. إنه قد ضرب أروع الأمثلة على الفداء المادي في سبيل الثقافة، فهلاّ أخذنا منه الشيء الذي يساعدنا على متابعة حركة الثقافة في بلادنا؟

# الأدب والمرأة

## قلم المرأة لم يتجاوز الخواطر النفسية والعاطفية

الحياة خضم زاخر بالتحركات والنشاطات يستطيع الإنسان أن يصورها ويعبر عنها بأي أسلوب، وما أكبر دور الرجل في هذه الحياة وما أثقل دور المرأة أيضاً فيها.. وقد اختلف احتكاك الرجل في الحياة عن احتكاك المرأة فيها فعرف كل منهما مجاله في ربوع الحياة الواسعة وحدد نظراته إليها وغاص في أعماقها واستنتج منها تجارب توافق فكره وقلبه عن بصيرة نافذة وشعور رقيق..

لكن الرجل عرف عنه أنه بعقله إنسان والمرأة عرفت أنها بعاطفتها إنسان، إلاّ أنها تخالفه في طريقة التفكير وأداء مهمة هذا التفكير. أقول هذا ونحن نطالع في كثير من الأحيان إنتاج الكاتبات ونقف أمامه وقفات طويلة للنظر فيه بعمق ثم لمحاولة إعطاء الحكم العام على الأدب العاطفي بكل معنى هذه الكلمة. إنَّ لهذا النوع من الأدب مميزاته ووقعه في النفوس وأثره في المسامع أي أن له أهمية إلى حد ما، وبكل سهولة نستطيع ضرب المثل ابتداء بالخنساء في القرون السالفة وانتهاء بباحثة البادية ومي زيادة وبنت الشاطئ في القرن الماضي.. كان هذا الأدب ناضجاً في نوعه لكنه لم يستطع

مجاوزة حدوده المرسومة إلى نُطُق جديدة سوى بعض النوادر والطفرات، فكأنه رسم لنفسه نهجاً خاصاً وهدفاً واحداً.. ومع ذلك فقد وقف هذا الأدب عن الإمداد بصفة عامة لأن أكثر أبطاله قد ذهبوا ولم يعد يمدنا إلا بضئيل الإنتاج والإبداع. ولكي نضع الحق في نصابه فإني أقول بعبارة صريحة لولا بنت الشاطئ لقلنا إن الأدب النسوي قد نضب معينه في العالم العربي. هنا يمكن للكاتبات أن ينتفضن احتجاجاً شديداً على هذه الصراحة في القول وربما وقف مع هؤلاء بعض الأدباء من الرجال ولا يضيرنا شيء من قبيل هذا الاحتجاج أو غيره لأننا واثقون مما نقول ولم نقل ما قلناه إلا تعبيراً عن واقع الأدب النسوي.. ولنا أن نطالب الكاتبات بمقالة كمرثية الأستاذة مي زيادة في باحثة البادية، فمن يأتينا بمثلها؟ هل يمكن لنا أن نتغاضى عن أمر حقيقي ونقول إنما الأمر كذلك لا كما تصورته؟ أنا متأكد أن هذا الكلام سيغضب له كثيرون ولكني معهم لا أزال في نقاش، فالأدب النسوي في بلادنا مثلاً لا يزال كما قال عنه الأستاذ أحمد جمال قبل خمس سنوات: (مسألة فيها نظر) وهذا يدفعنا إلى القول إنه لم ينضج بعد، فنحن نرى إنتاج الكاتبات في صفحات المرأة يدور ويخوض في بحر من الخواطر النفسية والمشاعر القلبية أو في أسلوب قصة أو مقال، ولكن هل ثمة بحوث أدبية وفكرية محضة؟! هذا لا شك نادر ولندرته لا يمكن إطلاق الحكم عليه.. في الوقت الذي لا بد للكاتبات فيه من أن يسرعن الخطى نجد أن أكثر الأديبات إنتاجاً قد توقفن عن الكتابة، فثريا قابل أصدرت ـ الأوزان الباكية ـ ثم سكتت، ونجاة خياط قدمت محاولاتها في ـ مخاض الصمت ـ ثم صمتت، وصرنا نرى إنتاجاً ضئيلاً لكاتبات طوالع جدد لا زلن يحبين في درب الأدب ولكن مستوى الأدب عنهن بعيد.. فكيف لا يمكن للأستاذ أحمد جمال أن يقول: إن الأدب النسوي

بصفة عامة مسألة فيها نظر؟ ثم كيف لا يمكننا أن نردد مع الأستاذ جمال قوله هذا؟

هناك محاولات جادة قدمتها لنا مجلة اليمامة وهي محاولات يعوزها الدأب والإكثار من نوعها ليبرز لنا الأدب النسوي بوضوح وبعدها نستطيع أن نحكم عليه بل وأن نقول بكل فخار إن لدينا أدباً نسوياً ليس فيه نظر بل له اعتبار وأي اعتبار.

نحن نحتاج في الأدب النسوي إلى ثروة فكرية تدلنا على أن هناك مجالات جديدة رحبة خاضتها الأديبات ويدلنا على أن الحدود المرسومة التي ذكرتها قد تجاوزت إلى مجال أبعد فندرك أن للأدب النسوي مجالات واسعة وبحوراً عميقة. لا بد من الانطلاق من أسر العاطفة إلى الاحتكاك في الحياة بتفكير أعمق فيكفينا من الإنتاج الأدبي الماضي مرثيات الخنساء. أما اليوم فالحاجة ماسة إلى إيجاد أبعاد أخرى تخططها الأديبات للارتفاع بمستوى الأدب النسوي إلى أعلى. فمتى نرى الأديبات يجبن في آفاق الفكر والأدب ويجئن في مجالات المعرفة والثقافة في أرفع درجاتها؟ إن الأمل لا يزال قائماً في أديباتنا بأن ينجزن واجباتهن تجاه أدب عال رفيع.

# الفكرة الثقافية والحياة الاجتماعية

يخيل إلى الدارس المثقف في بيئاتنا فكرة السطحية في الحياة الاجتماعية عموماً وأنه لكي يقوم هذا الدارس بنشر الثقافة في مختلف الفئات الشعبية للمجتمع عليه أولاً أن يقوم بغسل عقولها ومن ثم يمهد لفكرته ويؤطر لها إطاراً يتناسب مع عقليات الأفراد والجماعات والطبقات غير المتثقفة بصورة مختصرة..

ومن هنا يمكن القول إن هناك فئة هي على قلتها مستعدة لتلقي شيء من فكرة الدارس المثقف على أن يحسن هو ذيوع فكرته بالأساليب المختلفة التي من شأنها أن تبرز من هذه الفكرة الثقافية. ولعلنا نجد الأدب الشعبي بمختلف أنواعه وفروعه خير وسيلة، ولئن اكتسى هذا الأدب بنوعية أسطورية تصبغه الصبغة الخيالية أحياناً والخرافية بصفة عامة إلا أن مفعولية روحه ومواضيعه وخصائصه.. أي روح ومواضيع وخصائص الأدب الشعبي يتجلى تطبيقها جميعاً على جميع المتلقين لهذا الأدب بحيث يجعلون من موضوعاته قصصاً يتندرون بها في مجالسهم العامة. ولكن هناك ساعداً قوياً رافق التوفيق في المسيرة الأدبية الشعبية هذه كون أن الأدب الشعبي

يتخذ من الغناء والأداء وسيلة لكثير من نوعياته وإبراز خصائصه ومواضيعه، وهذه خاصية امتاز بها الأدب الشعبي وفاق بنجاحه فيها الآداب العلمية أي التي تدرس في المدارس والجامعات. وهناك كتاب الشعب أو كتاب الجيب أو كتاب الجميع هو كذلك أسلوب آخر لنشر الفكرة الثقافية بين فئات المجتمع.. وهو موجود في بلدان عالمية راقية فما باله لا يفوق نجاحها بكثرة توزيعه لدى أوساطنا الشعبية العامة؟! وهناك الإذاعة المرئية على وجه أخص وهي التلفاز على نجاح ورواج إذاعته، وما يذيع كان من السهل جداً أن يغتنمه الدارس المثقف كوسيلة حديثة وناجحة نجاحاً باهراً في نشر فكرته بين المجتمع.. ولكن لو استعان برجال المسؤولية في الإعلام والمختصين بطرق إنجاح نشر الثقافة بين الجميع..

والدارس المثقف في الفئات الشعبية من الواجب عليه أن يكون مختصاً أو على صلة برجال التربية في الجامعات إن لم يكن لديه اختصاص دراسي قل أو كثر في هذا السبيل، لأن الدراسة التربوية ستكسبه ساعداً جديداً في سبيل نشر الثقافة بين المجتمع لأن هناك خطوطاً عريضة في التفريق عند توزيع وإذاعة الفكرة بين من يكون كبيراً ومن يكون صغيراً وكذا من يكون مميزاً لشيء ومن يكون مميزاً لشيء آخر أو أشياء أخرى وذلك حسب السن والعمر الزمني وكذلك بحسب الإدراك العقلي بين الطبقات المختلفة وخصائصها وموضوعاتها بحيث تتلاقى فئات متعددة وصنوف مختلفة حول الفكرة الثقافية في المجتمع.

# تجربة علمية

يعن لي أحياناً - بحكم المهنة أو العمل قل ما شئت - أن أكتب خاطرة فكرية عن المكتبة التي أعمل بها.. هي مكتبة مركز صحاري الثقافي الإسلامي.. لا بل عن الكتاب والكتب، وإني أرقب القارئ تلو الآخر ممَّن يردون عليَّ نهاراً ومساءً، فأجد في نفسي غمرة إنسانية تعتريني لحركة المقاعد وتصفح المجلدات من الكتب من قبل الرواد، فيرن صداها في الواعية الإدراكية لذهني، الشيء الذي أجد من خلاله الكتابة، وبالأخص هذه الكلمة، لأسطر ما عنّ لي من الأفكار والمعاني فيها. إن للكتاب دوره الفعلي في حياة القارئ، فبه يفيد نفسه، وإن أجمل ما يسديه الكتاب وأنت تقرأه التوجه الفكري في الوقت لتعمل أو تمشي أو تتحرك لما عليك من خطى فيذكرك ذلك بما عليك فعله أو إنجازه أو تذكره في الآن.

ويعود سبب ذلك إلى التقاء الفكرين، فكرك وفكر المؤلف على أساس أن الكتاب مشتمل على موضوع مُصنف ومُوحد لتفهم ما تقرأ، ثم يذكرك ذلك بالواقع حيثما كنت. ويتميز هذا الشعور باختيارك للكتاب الذي تثق بأن قراءته ستفيدك، وأن شراءه مستحق،

وأن اقتناءك وحفظك له جديران به، أو أن الكتاب جدير بهما!!

وهذه فلسفة قرائية أراها علمية الصياغة، وفكرتها ذات إفادة، ولا ينبئك مثل خبير، فالأستاذ العامودي يعتبرني دودة الكتب! وقد ذكرني بتلميذ سيبويه النحوي الذي كان يبكر بالمجيء إليه فيقول له مستقبلاً: أهلاً بزائر لا يمل!! وأعتقد أن ذلك التلميذ اسمه قطرب، ويعني هذا اللفظ دُويبة صغيرة.

ومما خبرته من القراءة أن إمساكك بالكتاب ينبغي أن يكون متلطفاً فلا تمسك غلافه بقوة أو تشده لأن ذلك يكسر الغلاف أو يلوي أطرافه فيكون ذلك سبباً في تلفه - أي تلف الكتاب - بسرعة. فالكتاب مادة ينبغي الحفاظ عليها ليدوم أطول مدّة لديك، وحبذا لو جلدته تجليداً يصونه من التلف ويكون حفظه أسهل وأدوم وقت ممكن.

# هل لغة الإعلام العربي متغيرة ؟!

سؤال قد لا تكون الإجابة عليه واردة أو واقعية أو على التو إنما يمكن القول إنَّ هذه اللغة شهدت على توالي الأحداث في الفترة الزمنية المتأخرة تغيراً من نوع ما!!

فالأحداث البالغة الخسران في الأرواح بفعل وقوع القتل والتدمير كما هو في فلسطين أو في العراق في هذه الآونة الحساسة من تاريخ هذه الأمة مدعاة لذلك، وليس من شك في أن مرور المراحل الزمنية له دور في هذا التغيير أيضاً إلاّ أن الوعي العربي الإعلامي قد فقد قوة هذا الإعلام مثل الذي كان في النصف الأول من السبعينات الميلادية من القرن الماضي، فقد كانت وسائل الإعلام العربية بمختلف توجهاتها السياسية وفقاً لدولها سياسياً واستراتيجياً ورؤية للأحداث السياسية والعسكرية.. كانت هذه الوسائل من القوة الفكرية والدبلوماسية بمكان سواء في الصحف أو المذياع أو التلفاز.. مع محدودية القدرات المادّية لتلك الوسائل وقصور الإخراج لبرامجها الصحافية والإذاعية والتلفازية.. الشيء الذي توفر لها اليوم من العوائد للإعلان والتوزيع والبث.. ومع ذلك فهذه

الوسائل تزداد مع مرور الزمن تغيراً سلبياً!! ونشهد الضعف الإعلامي والسياسي لها، لغة وأسلوباً وترشيداً وتوعية.. ونلحظ ذلك بوضوح من خلال الهروب الأسلوبي في لغة هذه الوسائل من نشر أو بث حقائق واقعية، وإذا قامت هذه الوسائل بذلك فإنها تتخذ من اللف والدوران أسلوباً إعلامياً على الرغم من امتلاء النشر واحتوائه على عبارات وجمل بليغة وفصيحة جداً جداً.. وبذلك يفقد الوعي العربي واقعية الأحداث المعنوية السياسية والديبلوماسية نظراً لضعف العرب القيادي بصفة عامة..

ومن هنا فإن اللغة الإعلامية تبحث باستمرار عن أطر أسلوبية جديدة وفقاً لذلك، ولا يخفى التقليد المتكرر بين وسائل هذا الإعلام وبالذات في الصحافة والبث الفضائي في إذاعة البرامج والتحليلات السياسية وطرق هذا البث الأسلوبي، وأساليب وعناصر هذا البث، فلا نكاد نرى أو نسمع حدثاً من الأحداث أو خبراً عن نشاط سياسي أو زيارة لأحد المسؤولين إلا وجدنا هزالاً إعلامياً وأسلوباً مغايراً تمام المغايرة عن وقائع الأمور أو مكرراً مملاً يشير إلى غفلة هذه الوسائل عن مستجدات الأحداث.. الشيء الذي يسري على أذن المتلقي فيغيب الصدى بسرعة بسبب ضعف الصوت المعنوي المرسل إليه، وهذه ظاهرة إعلامية غير جيدة..

# تنبيهات اجتماعية

نبهني بعض ذوي المعرفة إلى أن الناس بحاجة إلى تنبيهات في أمور الحياة وشؤونها العامة، إذ إنَّ بعضهم بحاجة إلى الوعي في استعمال الأدوات والآليات الخدمية، على سبيل المثال الشدة والعنف في حطها أو وضعها في أثناء وبعد الاستعمال، وهذا له أذى سمعي أو نفسي على الآخرين، فالإرشاد والتوعية هنا بالهدوء الآلي في أثناء الاستخدام بحيث يكون صوت الآلة في نسبة بسيطة وبقياس محدود. ومن إفادة ذلك بقاء أدوات الخدمة عُمراً أطول أو استخداماً أكثر وأقل تعريضاً للتلف والضرر.

ومن أدوات الخدمات ما ينبغي التفكير ببساطة في استخدامه لا آلياً وكيفما اتفق، وإنما بشيء من الاتزان والمعرفة الحيوية لا الآلية الصماء والاستخدام العشوائي. إن في الترشيد لذلك منفعة للأبناء والبنات والعمال والخدم أو أفراد المجتمع عموماً، فالقياس والنسبية والتوقيت عناصر مهمة لتفعيل الآلات الخدمية وأدوات التشغيل العامة، فالقياس للضبط، والنسبية للزمن والمكان، والتوقيت للهدوء، بحيث يتم التفعيل المذكور في أثناء الأوقات المناسبة لا وقت راحة

الأفراد والناس عموماً، فالنهار طويل، وهو وقت العمل، أما إغفاله لإحياء الليل بالعمل الذي ينبغي فعله نهاراً فهذا من الخطإ والخطل والشطط في التصرف الإنساني المغلوط وتناسي السنة الكونية والدنيوية في الحياة.. حياتنا الإنسانية والاجتماعية التي تتطلب السعي المناسب. وهناك أمر كتناول الماء للشرب، فالقياس في سكبه يكون على قدر الحاجة لشربه، والشيء ذاته في الوضوء إذ ينبغي القياس في استعمال مائه لا بصبه كثيراً وفوق العادة وبإسراف، وقس على ذلك الطعام، فقد نصح الحكماء بتناول المطلوب لا المخل بالصحة ولا المقل لها، فكثرة الأكل متخمة، والشبع عاقبته وخيمة، وإنما ينبغي الاعتدال في الأمور عامة، والتوسط، وديننا يدعو إلى التوسط والتعقل والحكمة والمعرفة والفضيلة، وإحكام الأمور بالحق والعدل والخير ووضع الأشياء في مواضعها، والحقوق في نصابها. إننا ننعم كثيراً والحمد لله ولكن ثمة حلقة مفقودة في سلوكياتنا ينبغي وصلها بالتفكير السليم والتعقل المبين وإيتاء الشيء حقيقته وفي موقعه المناسب وزمنه الملائم. فالإتقان لأمور الحياة مطلوب مثله مثل العلم والعمل بل إنه مطلوب من دين الإسلام وشرعه الحنيف ودستوره المبين، فالحديث النبوي الشريف ينص على: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، وهذا يدل على قيمة الإتقان العملي واستحسانه وعمليته الواقعية في حياتنا الدنيا وحيويته المعنوية أدباً وسلوكاً وتفكيراً وقيمة وعملاً.

إن النقاط والمرتكزات المطلوبة المذكورة في حياتنا اليومية مهمة للناشئة والشبيبة من أولادنا وبناتنا، ولعل الآباء والأمهات أول من ينبغي منهم إدراكها والمعرفة بها وتطبيقها بالإشراف تارة وبالقيام بها تارة أخرى إذا لزم الأمر، أو تطلبه الموقف الحياتي في السلوكيات اليومية وخدماتها المنزلية والاجتماعية. فالناس بحاجة

إلى القدوة، والصالحون منهم هم المقتدى بهم فرادى أو جماعة، ولهذا أقول بهم. وما أجدر الآباء والأمهات بذلك في المجالات والمواقف العملية والحيوية في الحياة الإنسانية والاجتماعية.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأمور والنقاط تتعلق بالتربية المنزلية والعمليات الأخلاقية والتعليم السلوكي، ولم تعد من النصائح الخطابية بل إنها ملاحظات مهمة جداً في حياتنا الاجتماعية العامة من دواعي الخير العمل بها والتنبيه إليها والاهتمام بها وملاحظتها باستمرار والعمل على تفعيلها في عالم الناس عموماً ودنيا المنزل خصوصاً، ومن الإحسان الخلقي تفعيل ذلك والعمل به والدعوة إليه باستمرار. إنها أفكار اجتماعية عامة من أدركها عمل بها، ومن عرفها طبقها، فهي آمال المعرفة بالحياة الاجتماعية والحياة الإنسانية على وجه العموم والاشتغال بها يُعد منفعة للمجتمع وأفراده والأسرة وأعضائها.

وهي من الأمور الحميدة سواء بنظر الدين أو نظرة الأدب والمعرفة الاجتماعية، ومن التبصر إتقانها والعمل بها والتعود عليها في أثناء الحياة اليومية، فهي من السهولة بمكان، ومن اليسير أن يعمل بها الفرد الإنساني في منزله أو مشغله أو مكانه. إن الفكر الاجتماعي ينبغي له أن يعمل على إحسان وتطبيق الملاحظات الدقيقة الصغيرة فهي مهمة في حياة الناس وخدماتهم العامة وأشغالهم وما ينتابها من الأمور ذات الحاجة إلى التفكير المبسط وإعمال الذهن والوعي والبصيرة في أشياء هي ملك اليدين وعلى مد البصر والعين.

# ظاهرة التعالم آفة اجتماعية

إن ظاهرة ادّعاء المعرفة في الحياة الاجتماعية أمر سيّئ للغاية إذ إنها من الظواهر التي يبديها الإنسان المعاصر بغير علم ولا هدي وإنما قصده من ورائها الاتصاف بالميزة والتظاهر بالمعرفة في سبيل جاه أو شرف. ولا شك أنها ظاهرة إنسانية عامة تبدي خبايا النفس البشرية بشيء فيها من الشح والنفاق الاجتماعي، الأمر الذي يجعل صاحبها امرأً صاحب هوى وادعاء عريض وتظاهر بحب المعرفة وادعاء العلم وإظهار التعالم.

والحق أن تكون المعرفة طلباً للعلم وتحصيلاً للثقافة، شعار صاحبها الإيمان وصدق النية، وحبًّا للعلم النافع والمعرفة المفيدة والفائدة المعنوية المكتسبة لأنَّ طالب المعرفة حين يكتسبها من مصدر أمين مثل أستاذ بالمشافهة أو كتاب بالقراءة أو تعلم من وسط اجتماعي ثقافي عام أو سوى هذه المصادر المعرفية يكون ذلك لمعرفته مرجعاً حياً لمشارب الثقافة والمعلومات والمعارف والأفكار ووجهات النظر المعنوية والآراء المعرفية والدلالات الثقافية والنظرية، كما يكون ذلك تجلية للنفس الراغب صاحبها في العلم طلباً للخير ونعم الله الكثيرة، وهذا أمر أصيل ورأي جميل وفكرة ضافية ونظرة ثاقبة من المتعلم الحقيقي الأديب تعبيراً منه عن

حب المعرفة ونبذاً للتعالم والادعاء العريض للمعرفة المكتسبة العالية.

إن من أدب طلب العلم أن يكون صاحبه محتاجاً إلى التفكير في الحياة الإنسانية والاجتماعية وهذا التفكير يجعله رجلاً عالماً في سلوكه اليومي فيعرف كيف يتصرف ويعرف من أين تؤكل الكتف، فهو يعمل عمله بوضوح ويعلم علمه بدراية ويتصرف مع الآخرين بلباقة ومداراة ويتحدث حين يحدث غيره بطلاقة وفصاحة وحكمة وبلاغة.

وعلى هذا الأمر ينبغي إدراك المعرفة وتعلم العلم بما يكون إحساناً وتوفيقاً من طالبه جلباً للمعرفة ودرءاً للتعالم والتعارف الهباء، فالحياة البشرية بلا علم حق لا تسير وبلا عمل لا يتحرك دولابها الحركي الشاغل للإنسان كي يعيش بأمن وطمأنينة وفهم وإدراك للب الحياة وذاتها، فهذا أمر طبعي وحس بشري كلاهما فضل من الله وكرم ونعمة ونور وضياء. فليعد المتعالم إلى ذلك بحسن نية وصدق رغبة وحق مبين من أجل تحصيل العلم الصحيح الحق والمعرفة النافعة والكسب المعنوي من وراء ذلك، وإذا كان النسيان آفة العلم فإن التعالم آفة المعرفة، وكلاهما مفسدة للفكر والفطنة والذكاء.

ومن الدروس والعبر ما حكي أن السيد المسيح ـ عليه السلام ـ كان يمشي في طريق فرأى كلباً أعور العين، فقال ما هذا إلاّ أعور، فأنطق الله الحق الكلب ليجيب المسيح قائلاً: أتعيب الخالق أم المخلوق؟!

فهذه قصة ودرس يسوقها الله لعباده كي لا يقولوا إلا العلم الحق والمعرفة الصحيحة.. والله أعلم.

# التأثير السلبي لأمية المثقفين

إذا كان هناك شبه قناعة عند المنتقدين لحالات الركود الثقافي في بيئاتنا الإسلامية والعربية، وبأن ثمة أمية ثقافية وحالة خواء عند أنصاف المثقفين، فوجود هذه الحالة وشبيهاتها من ظواهر الجمود الفكري على المسرح الاجتماعي يدعو إلى التأمل حول قضية ثقافية هي بنت الساعة لأنها تتصل بمن تتعلق بهم الآمال بصفة عامة في التعبير عن المآسي الإنسانية ممثلة في التخلف بجميع صوره وأشكاله في الأمة.

وإذا بدا الأمر من هذه الوجهة متمشّياً بكيفيات منطقية ولا يتعارض أسلوبها - أي أسلوب هذه المنطقيات لكيفية وقوع الأمر المشكل - مع البدهيات الواقعة في جميع صور التفكير أو التصور الممكنة لهذا التخلف الواضح في الحياة اليومية ومن خلال الممارسة الاجتماعية داخل كيان المجتمع الكبير في بيئاتنا المذكورة، فإن الخطر يكمن في أبشع معانيه حينما نتذكر وجود أميين في صفوف المثقفين لا لعدم كفاءات غير متوفرة في أشخاصهم وما يحملون من علوم وشهادات أو ما يعبر عنها، ولكن

في الكيفيات والخصائص التي ينصبغ أسلوبها على مستوى تفكيرهم وينطلق بموجب ذلك ليشكل مفاهيم عن الكون والحياة والإنسان و«الله» جل جلاله، عديمة من روح التبصر في الرأي والخضوع لدواعي الفطرة الإنسانية المؤمنة، بل إن كثيراً من صور تفكير هؤلاء لا تزال ترتسم بألوان وأصباغ من الغزو الفكري الخارجي انبهاراً منهم بالعبقريات الأجنبية، من غير فحص دقيق للمنطلقات والأسس الفكرية الغربية الصليبية مع ما يساير معتقداتها وطقوسها الشكلية..

هذا بالإضافة إلى خلو عقليات هذه الطبقة من أنصاف المثقفين من التفكير والتركيز على التدبر والتمعن في التراث العلمي للمسلمين، ما ينجم عنه ـ والحالة هذه ـ سلبيات في التعامل الثقافي مثل الإنتاج والتأليف وإبداع الأعمال الفنية لا على ركائز ثابتة ومؤصلة على أرضية التصور في الحياة الإيمانية بل ثمة تعللات عند بعض هؤلاء مؤداها أن الإبداع الفني في الأدب كالقصة والمسرح، أو في الفن كالرسم والتصوير، إنما هو إنجاز إنساني عبقري يؤدي دوراً بديهياً في الحياة.

وهذا الزعم «العبقري» للإبداع الفني في الأعمال الإنتاجية الأدبية والفكرية والمعنوية سيؤول إلى فشل ذريع لأنه ومن البداهة أن يعبر الفنان عن مظاهر الوجود ومشاهد الكون، وظواهرهما الجمالية، ذلك لأن هذا الفنان يملك كإنسان انفعالاً نحو هذه الظواهر الكائنة، فتفاعله مع معطياتها الحسية جعله يعبر عما رآه أو لمسه أو أحس به بذلك «الإبداع الفني» وهذا بديهي.. وهو مثال شكلي يضربه لهم التفكير الهادي ليحوله إلى شاهد يستوعب الزعم وإن هو في واقع الأمر يحبطه بشدة.

وإلاّ فأين رسالة الفكر في الحياة وفي الجانب الثقافي منها

بالذات، وذلك عند الغافلين عن أبسط المفاهيم للقيم العليا الموجبة للاعتقاد بأن الثقافة ما لم ترفع رأسها نحو السماء فإن معطياتها المادية ستبتلعها الأرض في أية لحظة ويبوء الفكر عندها إلى مصير محدود هو الحجم الذي يعيش فيه حامل هيكله. وبالتالي فإن العملية كنتيجة حتمية لهذا التردي ستنحصر في شكل مضغ وامتصاص لآراء خاصة ونظريات محدودة، لا جوهر أصليّاً يحتويها ولا محور قويّاً، ترتكز هذه الآراء، وتلك النظريات، عليه.

# حياة المتقين

الأستاذ محمود شلبي كاتب إسلامي ومثقف وأديب،لا يعرفه الكثير منا! وهو من الأعلام المغمورين.. وقد دأب على كتابة المؤلفات في حياة المتقين والصالحين من الرسل والأنبياء والخلفاء والصحابة والقادة.. قادة الإسلام الفاتحين وأعلامه المبرزين في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية وتاريخ الفكر العربي والأدب والتراث الإسلامي.

لقد نشر تراجمهم في عشرات الكتب وآحادها الجمة المتينة مادة وفكراً وأدباً، مبتدئاً بأبي البشر آدم عليه السلام إلى المجاهد الصالح المسلم عمر المختار، متناولاً رسل الله وأنبياءه مثل نوح ويحيى وإبراهيم عليهم السلام والخلفاء مثل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وعمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وصحابة رسول الله ﷺ الذي أفرد له المؤلف الفاضل كتاباً مستقلاً كاملاً بعنوان (حياة رسول الله)، وتراجم الصحابة مثل الصحابي الجليل سعد بن معاذ وأبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين.

كما صنف وألف الكاتب الشلبي عن حياة الصالحات مثل مريم

عليها السلام وخديجة وعائشة من أمهات المؤمنين.

وبشيء من الإيضاح أود أن أقول إن عناوين هذه الكتب الجليلة عن أولئك الصالحين وهاتيك الصالحات، واحدة هي (حياة فلان) فهناك (حياة آدم) و(حياة نوح) و(حياة أبي بكر الصديق) و(حياة خديجة) و(حياة مريم) وهلم جراً وذكراً.

أي أن الأستاذ محمود شلبي عمل في مصنفاته على الغوص في حياة المتقين من الرسل والصحابة والقادة، وحياة الصالحات والتقيات، فيتناول لقارئه الدرر الثمينة والكنوز القيمة من خصال حميدة وصفات رزينة ومزايا طيبة وأخلاق عظيمة، ويقوم في نفس المكان والمكانة بتحليلها إيمانياً وعقيدياً، وأدبياً وفكرياً، بأسلوب المثقف الأديب، وطريقة المفكر الأريب، فيكتب الإهداء على سبيل المثال قائلاً: (اللهم.. منك.. وإليك) كما في كتابه (حياة يحيى) أو هو يقدم الإهداء بنص آية قرآنية مثل قوله تعالى: ﴿**يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة**﴾ في كتابه (حياة آدم) ثم يكتب مقدمة لكل ترجمة في أول كل كتاب مبرزاً مزية المترجم له كقوله عن نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام: (وبعد.. هذا كتاب.. إن شاء الله.. فريد.. عن نبي فريد.. عن موجة فريدة.. أشير إليها في قوله سبحانه: (**لم نجعل له من قبل سميًّا**؟!.. إلخ) ثم يقص الآيات القرآنية المناسبة مثل قوله تعالى: ﴿**كهيعص.. إذ نادى ربه نداء خفيًّا.. يا زكريا إنا نبشرك.. وآتيناه الحكم صبيًّا.. اسمه يحيى.. لم نجعل له من قبل سميًّا**﴾.

فيه تحليل جميل ـ كما يقول الناشر ـ لشخصية يحيى عليه السلام. وهكذا دواليك وجوزي المؤلف خيراً بإذن الله.

# أعلام القرآن

«معجم الألفاظ والأعلام القرآنية»كتاب للأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم، وهو كاتب مصري متخصص في الكتابة الدينية والثقافة الإسلامية، لكنه مجتهد غيور على دينه، وفي الوقت ذاته فإن الرجل مغمور الذكر إلاّ من آثاره العلمية وكتبه الفكرية والأدبية التي تدل على علمه الغزير وفكره النير وتواضعه الجم.

وقد عرفت المكتبة القرآنية كتباً ومصنّفات عديدة صنفها عديد من العلماء والفقهاء والمفسرين مثل كتاب «معجم غريب القرآن» لليزيدي و«معجم المفردات في غريب القرآن» للأصبهاني من القدماء.

أما من المعاصرين فمحمد عبد الباقي في كتابه «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» والدكتور علي إسحاق في كتابه «معجم مصنفات القرآن الكريم»، وقد روعي في هذه الكتب القرآنية الناحية العلمية والشرعية والفقهية.

ويأتي معجم «أعلام القرآن» كتاباً متسماً بالثقافة الدينية والفكر الأدبي الإسلامي، ولأسلوب مصنفه الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم: الغاية القصوى في إحصاء أعلام القرآن الكريم ومعالمه

القدسية والنبوية والشرعية، بدقة وتقيُّد ملتزم بهذه العلوم الثرة والثقافة الغزيرة التي أعطت المعجم مسحة من البيان وملمحاً من الفصاحة ومعلماً من الروح والشعور الديني.

وتعريف بالمعجم هذا فهو يشمل جميع ألفاظ القرآن الكريم، مرتبة هجائياً ومشروحة، وبيان عدد مرات ورود كل لفظ، ومواضع نصوصه في السور والآيات مع تعريف بالأعلام التاريخية والجغرافية.

أما محتوياته فيسرد مؤلفه مواد الألفاظ كما وردت أصولها في المعاجم اللغوية المتداولة، ويذكر مادة كل لفظ ومرات وروده في القرآن، وتفسير كل مادة، مع شرح للتعبيرات القرآنية، وإيضاح مدلول الألفاظ التي استخدمها القرآن بمعان جديدة لم تكن مألوفة ولا معروفة قبل الإسلام، مثل «النفاق»، «الشرك»، «الصور» و«الأعراف» ثم يورد المصنف تراجم وافية وتعاريف جيدة لجميع الأعلام التي جاءت في سياق القرآن الكريم، وكما جاء الخبر عنها في كتب التفسير المعتمدة مثل تفسير ابن كثير وتفسير الطبري وتفسير ابن الجوزي والإمام السعدي والشوكاني بوجه خاص، والمراجع الشرعية والفقهية والسنية مثل «المسند» لابن حنبل و«الموطأ» لمالك و«الأم» للشافعي، وكتب الصحاح للبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والدارمي والترمذي بوجه عام. ويبدو أن المؤلف الفاضل محمد إسماعيل إبراهيم أوعز إلى الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين، من كلية دار العلوم بالقاهرة، بكتابة تقديم للكتاب، ومما قاله شاهين: «أشهد أن هذا العمل، بعد أن عشت معه عاماً كاملاً، يمتاز عن سائر المعاجم القرآنية بسلامة ترتيبه وغزارة مادته وشمول عرضه لأكثر ما قيل حول ألفاظ التنزيل في كتب التفسير مع اعتنائه بالأعلام القرآنية خاصة»، من صفحة الكتاب رقم ٤.ا.هـ.

# الرؤية الثقافية
# لمقدمة ابن خلدون الاجتماعية

يمتاز عقل عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بالخصوبة التفكيرية والغزارة العلمية لمجابهة الثقافة والمعرفة والفن الأدبي في عصر امتلأت سماء العربية بالعلماء والأدباء والعقلاء، وقليل منهم المبدعون على طريقة ووتيرة العارفين أدبياً وذهنياً واجتماعياً.

وقد كان لابن خلدون فضل السبق لإبداعه واختراعه للتعبير عن علم الاجتماع أوالعمران كما يصفه هذا العبقري، بل زاد هذا الرجل العظيم تقديراً وتعبيراً فكتب مقدمته المشهورة لتاريخه المسمى «كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر» تجلّى فيها فكر الرجل بالمنهج والبيان والأسلوب العلمي والثقافي.

وهذه المقدمة سبقت العقول الغربية ـ عندما تجرأت ـ أن تجهل من أوجست كونت مكتشفاً لعلم الاجتماع ـ وهذا ادعاء وليس حجة ـ فابن خلدون عاش في القرن الثامن الهجري أما كونت فقد عاش بعد ابن خلدون ببضعة قرون، مما كان لعلوم ابن خلدون وثقافاته المسوّغ الرئيس في الإبداع الفكري لعلم الاجتماع فلسفة للتاريخ،

وتحليلاً للقيم الاجتماعية، وتدقيقاً لفنون الثقافة والمعرفة والدهاء، الشيء الذي عبر به ابن خلدون عن رؤيته وبيانه وكتابته حول الكون والناس والمادة والحياة عموماً بصياغة إبداعية فيها لمسات المفكر وتصوير المبدع وبيان الإنسان الفصيح والبلاغة العربية والتراث الإسلامي. فابن خلدون له علوم وفنون وآداب وثقافات مثل علوم الدين والتفسير والحديث والفقه والتشريع واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والعمران والاقتصاد وعموم فنون العلوم والثقافات والآداب في زمانه.

والمدهش في عالم ابن خلدون الاجتماعي والعمراني إنسانية العلم والذوق الجميل الذي اكتشف بهما الأسباب والمحاور والتوجهات من حياة الناس مجتمعين أو منفردين ومدى معرفة تأثير المال والمادة في الأرض المجتمعية ومدى الارتباط - في ذلك كله - بالطبيعة والعلم الجغرافي والإنساني وعبور الأزمنة والأمكنة وتأثيره في حياة الناس عموماً قديماً وحديثاً ومعاصراً، ماضياً ووسيطاً ومستقبلاً.

وعندما نبحث في مقدمته عن التاريخ البشري وفلسفته العمرانية «الاجتماعية» فإننا نجد أفكاراً عريضة وقيماً ثمينة ومعاني خصبة تفحص مواضيع الحياة الاجتماعية وتربط بين محاورها العلمية والمادية والعمل على جعل الفكر الإنساني التوجه المميز لاستنباط واستنتاج الأصول البنائية للحياة الاجتماعية والتاريخية التي تدخل أيضاً في شؤون الكائنات الحية من بشر وحيوانات وسواها من المواد الطبيعية والثمار الحيوية والثروات الأرضية. ونسير معاً لرؤية أدبيات ابن خلدون وثقافته وأسلوبه عالمين بتجديده في الأسلوب العام للكتابة العربية حتى زمانه في القرن الثامن الهجري، بل يعتبره

الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه: «عبقريات ابن خلدون» الإمام والمجدد في أسلوب الكتابة العربية، (انظر صفحة رقم ١١٧ طبعة عالم الكتب بالقاهرة سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).

والشيء بالشيء يذكر فإن في أدبياته ركناً فيما قاله من شعر وهو نظم فيه مدح لسلطان تونس ابن العباس واعتذار في إرضاء والٍ آخر هناك. وعوداً إلى المقدمة التي حوت فلسفة الفكرة العلمية والأدبية حول العمران البشري عند ابن خلدون لنرى مثالية التأليف في ذلك الفن المعرفي، ونشير هنا بالتقدير إلى المهمات الدقيقة والدراسات المستفيضة التي ضم بها المقدمة المفكر الراحل علي وافي في ثلاثة أجزاء سميكة بعناية أدبية ورعاية علمية وملاحظات دقيقة، مجازى عند الله بالخير للعلم النافع، والله أعلم.

# المثقف الذي فقد الأثر..!!

من باطن المجتمع يكوّن المثقف العربي ثقافته، ومن معتقده يتأهل بأيديولوجيته لقيادته الفكرية والاجتماعية والإنسانية.

ولم يشهد التاريخ عصراً كعصرنا الذي فقد المثقفون فيه أثرهم وتأثيرهم المجتمعي. في حين يصارع المثقفون كينونة الأفئدة في ذواتهم.. في بيئتهم على أثر الماضي الحضاري. لكنهم على الرغم مما جادوا به من العطاء الفكري والتزامهم بالإنتاج المعرفي - وأعني بذلك الملتزمين للتوجه العاقل بالعلم والفكر والعقيدة والأخلاق - لم يستطيعوا القيام بدور فاعل في البنية التحتية لمجتمعهم الإنساني بصفة عامة، بمعنى أن المثقف العربي اليوم بات في لولبية الحركة إلى أعلى وباتجاه عكسي تماماً، ويكاد يفقد الفاعلية التأثيرية في أهله وأمته وأفراده، إذ فقد التأثير إلى العمق.

ومع أن ثروته المعنوية رصيدها جم ووفير فإن عتاده الاجتماعي والإنساني وأداته المادية ليست ضعيفة إلاّ أن إرادته البناءة فقدت بعض الثقة بالنفس، وذلك بتأثير خارجي عن مكانه وزمانه، الأمر الذي استطاع الغزو الفكري والمعنوي أن يستمر في الفت في عضده

والتقليل من فاعليته فكان الذي يكون من السنة الكونية والناموس الإلٓهي في مثل هذه الحالة. وعلى أثرها اختلت موازين السلوك والتربية والتصنيع المعرفي الذي كان دور المثقف فيه رفيع المستوى لأنه القيِّم على مثل هذه المبادئ والأسس في كل مجتمعات البشر منذ فجر التاريخ الذي شهدت فيه البشرية أروع حضارات الإنسان المبدع بمعرفته القيادية وسلوكه الحضاري وأخلاقه الفاعلة، وقس في كل مجتمع من مجتمعات البشرية هذا الدور للمثقف هل تغيرت تأثيراته في أي مجتمع مثل هذا الحال اليوم وبالذات في البيئة العربية والإسلامية التي تغيرت فيها المفاهيم المعنوية بشكل عجيب؟ومع أن الغزو الأجنبي ظل قوياً فإن أثر الأمة المعنوي ظل أقوى من كل القوى التي داهمت التصور الفكري لقادة الثقافة وأمراء الفكر وأرباب البيان، لأن أيديولوجيتها كأمة حضارة سابقة ظلت في الروح والذات والتوجه، ولا يعني فقدانها القيادة الثقافية اليوم أمراً مخفياً أو شبه ذلك بل إن محاولات المفكرين لانتشالها من العمق الخطير معنىً وعلماً ومادة وعملاً واستراتيجية وتوجهات، كل ذلك للحفاظ على ماء الوجه الحضاري في سجلها المعنوي والفكري، وليس هذا فقط وإنما لدور هؤلاء المصلحين الفاعلين في أمتهم يكون واقعه مستمر العمل ودائم المسيرة نحو إصلاح ذاتها المطموس بغشاوة التخلف والجهل واللامبالاة.

وبات دور المثقف معلوماً بلا أثر واضح للعمل الحضاري والإنجاز الفكري والسلوك الجمعي، وإن هذا الدور يكفي الإشارة بالتلويح الزمني الذي طال أمده، لو كان المسار الاجتماعي استمر كما كانت دورته القوية قبل الغزو الاستعماري والمعنوي والاقتصادي الذي رسَّب الغزو الفكري في ذات المجتمع وتصوره المعنوي حتى على مستوى الحياة اليومية وليس على مستويات

التفكير العميق لاستمرار الحياة بكل إمكاناتها فحسب. لذا ـ وكما أرى ببساطة ـ ينبغي للمثقف اليوم تغيير أدواته ووسائله الإصلاحية العملية لتجديد التفكير الثقافي في المجتمع وإنعاش ذاته من توهم التحضر المادي الذي يستمرئ ناظريه بما في ذلك توفر المادة وغزارة وسائل الراحة والتغذية والعمليات الباقية من الجنوح المائل نحو الاستمتاع بالحياة اليومية على وجه عام ودواعي الجاه والمحسوبية التي من شأنها الحط من المعنوية المجتمعية بوجه خاص.

إن المفكر العربي مثقف المعرفة وعادي الحضارة في الحياة التاريخية لأمته، إذ إن رباطه بها ضارب البعد وآفاقه فيها بعيدة المرونة أي واسعها، فما بال المجتمع لا يراوده حب له وأمان عليه وثقة به في خطة الإصلاح الاجتماعي التي طالما أمسك بزمامها في حين انتظر الساعة المناسبة لإعطائه هذا الدور الفاعل التاريخي.. ليعمق بعملية التفكير الثقافي في أفق تصور المجتمع نحو الكون والإنسان والحياة والعمل هذه، التأصيل القانوني لنظرية المعرفة الإنسانية في الحياة الواقعية، وليس في حياة المثل والنظريات المثالية التي لا تجدي المجتمع البشري شيئاً لتعطشه إلى العمليات الحياتية المجدية لعمل أفراده ونفسه ووفرة وسائل العيش الحقيقي الجامع بين المادة والأدب، والعمل والعلم، والحركية والقيم، وهكذا مما يجعل فرد هذا المجتمع وإنسانه يحس بالحياة ذاتها وليس بالحياة الصورية..

فهل يحسم المثقف الموقف ويبادره مجتمعه بالثقة، كما يؤمل؟

هل يؤكد المثقف هذا الموقف التاريخي في كل زمن وظرف؟ إن الأمر بلا خيارات إلا خيار واحد هو المبادرة الحينية العاجلة، لتدارك

العملية الثقافية في الحياة الإنسانية، وجعل المثقف لذلك الأمر أولوياته الفعلية، وأدواته العملية، ووسائله الدورية في المكان لا في الزمان المؤقت.. وفي المجتمع الفاعل لا في المجتمع المتصور.

إن المثقف لم يفقد الأثر وإن كاد أن يفقد التأثير، وفي كلا الحالين لا يزال صاحب دور فكري على أقل تقدير، بل صاحب قدرة فعلية على نهج المسيرة التي يمكنه فيها التغيير الحالي لتصور المجتمع الذي يعايشه في الحياة اليومية الواقعية ومسيرتها العاملة بفاعلية دائمة، من تصور هلامي إلى تفاعل فكري عملي يعتمد على الإيمان والإرادة والتصنيع المعرفي الفاعل في المجالات العملية لحياة الإنسان اليومية، أي أن المثقف له دور تحضري ومدني في الوقت ذاته، فالغرب سبقنا بفاعلية الثقافة والمعرفة والتنظيم المركز وعمل الحياة وجعلها إنجازاً واقعياً يومياً.. فهلاّ أدركنا مثل هذا التنظير الفعال؟

# المجمع اللغوي.. حاجة ملحّة

مع تطور المجتمع تتطور الحالات السمعية واللسانية والبصرية لأفراد هذا المجتمع، وكذلك اختلاط الجنسيات من البشر الذين يدخلون في حياة هذا المجتمع يتطور بطبيعة الحال.

إن المجتمع العربي السعودي نموذج لمظهر هذا المجتمع، إذ إننا نراه ينمو بسرعة وأصبح التقدم الاجتماعي والإنساني في أفراده ومجتمعه أمراً ملحوظاً.

ومن هنا دعا بعض رواد الأدب السعودي منذ فترة الطفرة في المملكة إلى نشوء أو إنشاء المجمع اللغوي يمارس أعضاؤه المعنيون بعلوم الأدب واللغة والمعرفة اللسانية والثقافية الفكرية نشاطهم الذي يتجسد في متابعة الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأدبية والشعرية والحركة الإعلامية المسموعة والمشاهدة والمقروءة وحركة الثقافة والفكر عموماً، ورصد مظاهر التعبير الأدبي والصحفي والثقافي وكذا الدروس العلمية والمواد التعليمية والبرامج الإذاعية والتلفازية والنشرات الإعلامية والمطبوعات الدينية والمعرفية والإعلانات التجارية والاقتصادية

والدعائية والمرافعات القضائية والحقوقية، وكل تعبير أدبي وثقافي وفكري.

ومن نشاط هذا المجمع مراقبة الاصطلاحات الصناعية والمسميات الإنتاجية والألفاظ والتعابير التجارية والسوقية والمبيعات المادية والأدبية والإنسانية والصحية من الأدوية والأجهزة والمواد الطبية والعلاجية والمنتجات الغذائية والعملية وكل ما يمت بصلة إلى الحياة اليومية في مجتمعنا أفراداً وجماعات.

ويأتي نشاط المجمع تعبيراً وخلقاً للأسماء والمصطلحات في هذه القوائم المذكورة آنفاً.

كما يقوم المجمع بإصدار المنشورات اللغوية من مؤلفات وإرشادات وتحقيقات التراث اللغوي والفكري والأدبي في لغتنا العربية.. لغة القرآن الكريم والسنّة المطهرة، وحبذا لو تنشأ مجلة خاصة بالمجمع تتولى مثل تلك المتابعات المذكورة بالمقالات والكلمات والتصحيحات وحوارات الأعضاء والكتّاب والأدباء ورجال الفكر والثقافة والمعرفة في مجتمعنا العربي الكبير.

إن هذه المهمات مهمة في ذاتها للحياة العامة لهذا المجتمع الذي يتولّى عضوية المجمع فيه رجال الفكر والأدب البارزون عادة وبمقارنة المجامع اللغوية العربية الأخرى مثل مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق وعمان.

وأهمية هذا المجمع في وجود أعلام لا يزالون رواداً وقادة للفكر العربي مثل (حمد الجاسر وعبدالله بن خميس وحسين عرب ومحمود عارف) في المملكة العربية السعودية، و(ناصر الدين الأسد) في الأردن، و(عدنان الخطيب) في سوريا، و(عبد العزيز بن

عبدالله) في المغرب، و(شوقي ضيف) في مصر.

وقس على هؤلاء أعلاماً آخرين في الجزيرة العربية والخليج العربي والسودان وتونس وغيرهما من دولنا العربية شرقاً وغرباً.

إن الظرف الإنساني والمجتمعي حري بمسارعة تحقيق الفكرة وإيجاد مخرج للأزمة اللسانية وتبادل المفاهيم والمعارف الاجتماعية بين أبناء مجتمعنا العربي الصميم أفراداً وجماعات وبين الوافدين من إفريقية وآسيا.. إلخ. حيث بات التفاهم مع العمال والسائقين والحراس والموظفين والجماعات أمراً ضروريّاً، ما حدا بالكثير أن يعلن على باب متجره أو معمله أو مصنعه بعبارات أعجمية بكتابة عربية أو غربية.

وليس هذا إلاّ مثلاً بسيطاً لدواعي إنشاء المجمع العربي في المملكة وهي رائدة الدول الإسلامية والعربية.

وإن إنشاء المجمع مكسب أدبي وديني وثقافي لفكر رجال العلم والثقافة السعوديين ووراءه منافع إنسانية واجتماعية بالغة الغاية في إثراء المعرفة والحركة الأدبية والعلمية والثقافية التي تشهدها المملكة في المراحل الراهنة والمستقبلية عبر الجامعات ووسائل الاتصال والمراكز الأدبية والاقتصادية والإعلامية والأندية الثقافية والرياضية والاجتماعية خصوصاً والمصانع ومراكز التجارة والإنتاج عموماً.

# ثقافتنا في وجه التحديات

تعصف بالمسلمين ـ اليوم ـ تيارات شتى توحي بأن ثقافتهم مهددة بالعقم، وأنشطتهم بالزوال، وطموحاتهم بالانقراض.

وهذه التيارات معاصرة حديثة تتسم باقتران السم بالدسم، والغث بالسمين، والسراب بالماء.

وفي كتاب «ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة» يعالج مؤلفه الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الإشكاليات الصعبة للمسلم المعاصر من الجانب العسير والخطير ألا وهو الجانب الثقافي في عصر أصبحت فيه الثقافة مقوماً كبيراً من مقومات الشخصية التاريخية، والحضارية، لكل أمة، وأصبح الصراع الثقافي فيه أبرز صور الصراع، كما يقول المؤلف الفاضل الذي يمضي مستطرداً:

«ومن المعروف أنه نتيجة لظروف تاريخية معينة.. أصبح المسلمون ـ وهذا شيء محزن حقاً ـ في موقع من يتأثر أكثر مما يؤثر، ويتفاعل سلباً أكثر من تفاعله إيجاباً». وعلى هذه الوتيرة من الفكر

والبيان يضع الدكتور عويس أفكار كتابه طرحاً وموضوعاً وأسلوباً في سبعة فصول تتناول أساسيات الثقافة الإسلامية من مصطلح وضرورة وأطوار لإنقاذ الإنسانية، كبناء موحد لا يتجزأ، لأن ثقافة المسلم تحمل عقيدته وشريعته وأخلاقه على ضوء الفكر الإسلامي قرآناً وسنة.

وقد شرح في الجانب العقائدي موقف الإسلام من النصرانية واليهودية «الصهيونية» وكذا موقف وعلاقة الإنسان المسلم من المادية الجدلية والوثنيات والمذاهب الأخرى.

ومن هنا يفصل المؤلف موقف وعلاقة الإسلام للمسلم من الناحية الاجتماعية الحديثة شارحاً المفهوم الإنساني والمنهج الإلّهي لمقومات المجتمع المسلم، وخصائص ومشكلات هذا المجتمع وعلاجه في الحياة المعاصرة، لأن ثمة روابط بين الناس وفقاً لمناهجهم البشرية والإنسانية والاجتماعية، كيف تحل صعوبات هذا المجتمع، وتحديات الصراع المادي التي تواجهه إذا لم تكن ثمة ثقافة مؤصلة ـ للمسلم المعاصر ـ تحمله من الهوة الخطيرة اليوم وتنير له دياجير المسلك الإنساني في الحياة البشرية التي تتحداه إيمانياً وسياسياً واقتصادياً بل ثقافياً على وجه الخصوص؟ وهي مشكلة أو معضلة في الظلم والانحراف والقصور الذاتي والمعنوي والمادي، ومن أجل ذلك قدم الإسلام التكافل الاجتماعي حلاً مناسباً، وحداً فاصلاً للإنسان المعاصر، يستوي فيه المسلم والذمي بناءً على التصنيف الفكري والاقتصادي للناس الساري بينهم منذ صدر الإسلام، كقصة عمر بن الخطاب مع اليهودي وفرضه له حصة مالية من بيت مال المسلمين لأنه دفع الجزية في شبابه. بعد هذا يضع الدكتور المؤلف عبد الحليم عويس علاجاً آخر من الناحية النظامية

ضد التيار المعاصر حيث «ينظر الإسلام إلى النظام السياسي على أنه الحارس لعقيدة الأمة وسلامة بنائها الداخلي ومصالحها الخارجية» في الفصل الأخير من كتابه الذي يبين أسس النظام الإسلامي فيه على أنـــهـــا: «الإيـــمـــان بـــالله»، «لا حـــاكـــم إلاّ الله» «ثـــبـــات الأصـــول والـتـصـــورات»، «غـــايـــات روحـــيـــة إنـسـانـيـة»، «الـمـسـاواة الـتـامـة»، «الحرية»، «الشورى»، «العدالة»، «الحاكم المسلم».

على ضوء الفكر والسياسة والدين الإسلامي في العصور كافة وبالذات في عصرنا الحديث.

# أزمة قراء.. لا أزمة كتاب

طرح أخي الأستاذ محمد عمر العامودي في هذه الجريدة يوم السبت ١٤٢١/١١/٢٣هـ موضوعاً ثقافياً مهماً جداً هو أن مجتمعنا المعاصر.. مجتمع لا يقرأ «الأغلبية»!

وضرب على ذلك مثلاً باثنين من الناس «الأول» شاب من رجال الأعمال، والثاني من المعنيين بالكتابة والصحافة والقراءة أيضاً.. كان الحديث بينه وبينهما عن القراءة «أمّا الأول فيقول» إنه يعكف منذ فترة على قراءة كتاب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور جواد علي «وهو كتاب نفيس يقع في عشرة أجزاء» أما الثاني فينفي أن يكون في المكتبات شيء يستحق القراءة اليوم.. أي أنه أنكر على الأقل كل كتب التراث التي تضيق بها المكتبات اليوم، أنكر الجاحظ، أنكر ابن خلدون، أنكر الأصفهاني.. إلى شيء استغرب منه أبو علاء وهو أن رجل الأعمال يهتدي إلى شيء مفيد يقرأه.. ورجل القلم والكتاب لا يعثر على أي شيء يقرأه!

وهذا أمر يدعو إلى الاستغراب فعلاً! فالمكتبات العامة مليئة بكتب الأدب والعلم والثقافة والتاريخ والتراث، وما على القارئ

العادي إلاّ أن يختار منها ما يشاء! فما بالك برجال القلم والكتابة المرموقين الذين يملكون زمام النشر والتوزيع والمعرفة والثقافة الراقية!؟ فعلاً إننا نعيش أزمة قراء.. أزمة ثقافة.. أزمة فكر!! لا أزمة كتب..! فالكتب متوفرة، ومن شهد معارضها في جدة ومكة والرياض والقاهرة وغيرها من معارض الكتاب الدولية، سيقف على حقيقة هذه الأزمة التي طرحها الأستاذ العامودي!

لقد فتح لي الأستاذ مكتبة صحاري العامة لاستقبال القراء فيها، فأجد.. ماذا أجد ـ أخي القارئ ـ في تصورك؟ أجد أن أغلبية روادها من القراء العاديين وهم مثل الرجل الأول الذي قال عنه الأستاذ إنه شاب من رجال الأعمال يعكف منذ فترة على قراءة الكتاب الموسوعة «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» في عشرة أجزاء! ولا أجد قليلاً من الكتّاب الذين ضرب العامودي مثلاً بهم وهم الصنف الثاني الذين يدّعون أن المكتبات خلو من الكتب التي تستحق القراءة والاطلاع.

لقد شكا كثير من الأدباء والعلماء والمثقفين من أزمة القراء الذين ينبغي أن تكون نسبتهم في العالم أكبر وأكثر ـ أقصد عالمنا العربي والإسلامي ـ من نسبة القراء في العالم الغربي الذين يتفوقون علينا لا بالقراءة فحسب.. بل بالصناعة والقوة والعمل.. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

# وحدة الأدب العربي

يطل علينا الأستاذ الدكتور صالح جمال بدوي عميد كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى من خلال بحثه الجديد على خصوصية الأدب العربي في وحدة الفكر والأدب والثقافة والعلم.

وهذه الخصوصية مرتبطة بالأصالة الدينية والجديد المعاصر، الشيء الذي يجعل الأدب العربي في هالة ثقافية تعتمد في بؤرتها على الأساس الرابط لوحدته الفكرية والعقائدية والمذهبية المتوحدة فهو يقول على سبيل المثال: «إن الأدب العربي في نشأته وسماته العامة وطبيعة سير تطوره يتميز بخصائص لا يتوفر مثلها لسائر الآداب الإنسانية الأخرى.. وأبرزها خصيصة «الوحدة»». ويرى الباحث الكريم أن لذلك عوامل كثيرة أهمها على الإطلاق عامل الدين وعامل اللغة «في خصوصية وحدة الأدب العربي» «ص٥» الناشر مكتبة نهضة الشرق.. جامعة القاهرة... ويستأنف بحثه ليقول بالموروث العام، وهو بكل معارفه وعلومه وآدابه أكبر شاهد على هذه الوحدة وهو العامل المكمل في التوحيد الذي يدعم دور الدين واللغة، وفي التراث مصدر أولي وأساسي لثقافة الأمة التي تنطلق

بتصورها عن الإنسان والكون والحياة من تصورات الفكر الإسلامي الأصيل الذي رسخ أعظم حضارة في الدنيا.

ولم يخصص الدكتور صالح بدوي بهذا الربط التراثي وحده بل إننا نجده يقول: «وحتى ما لم يكن شيء من ذلك متصلاً اتصالاً مباشراً بأمور الدين فهو لا يخلو كثيراً من الاصطباغ بغائبية الحياة في الإسلام» «ص ٣١ بتصرف»، ثم يورد أن اجتماع الأمة في التلقي عن المدارس العلمية والأدبية الواحدة هو أحد مظاهر الوحدة وعوامل التوحيد في الوقت ذاته.. كما أن التراث الإسلامي المتداول على نطاق جمعي سواء بين صانعي هذا التراث، أو قارئيه، يكشف عن توحده في ذاته «ص٣٩ وص٤١ و٤٢».

وهذا لا يمنع من تعدد الأمور الفطرية للناس، كما لا يمنع من الثبات الذي لا يعني الجمود والتحجر في الطبيعة الإنسانية اجتماعياً وثقافياً ودينياً.

فالأدب والثقافة إن لم يقوما بدورهما في الحياة الاجتماعية حين الحاجة فلا حاجة للناس إليهما، لأن مجتمعاً كالمجتمع الغربي إذا سار أفراده بالنظام المثالي ولكن لم يقم بالدور الحياتي للناس فلا يكون إلا مجتمعاً مثالياً ليس له دور دافع البتة لا لنفسه ولا للآخرين، ومع تمثل الأدب للغايات الإسلامية في تراثنا، وتوحد أدبنا بهذه الغايات بطريق مباشر أو غير مباشر، إلا أن ذلك رهن بديمومة التذكير من طائفة الحق في أمتنا لرسالة الإسلام ومبادئه، وهو الأمر الذي أنهى به الدكتور صالح بدوي بحثه في «خصوصية وحدة الأدب العربي».

# رؤية في معالم الأدب الإسلامي

إن الأدب الإسلامي في تصوره يعطي رؤية مضيئة نحو الإنسان والكون والحياة، بما اشتمل عليه هذا الإنسان في تصوره للفكر الإسلامي في الوجود الحياتي العريض. فالإنسان يفكر في حياته دوماً: مرة للإيمان بخالقه وأخرى لمادة حياته ووجوده وعلمه وعمله ومرة ثالثة لعلاقاته الاجتماعية والإنسانية بالآخرين من بني جنسه، إذن فالأدب للإنسان تعبير عن وجوده بما تميز من معالمه الفكرية والدينية، وهو إضافة للحياة الإنسانية في مجتمع العلم والفكر والأدب والمبادئ الخلقية.

وهذه الألفاظ معالم اصطلاحية للأدب الإسلامي والإيماني بالله العزيز الحميد.

إن «العلم» على سبيل المثال معرفة الإنسان الأول في وجوده للحياة جمعاء، وانطلق من هنا نحو الترقي والتطور والإقدام الفعلي نحو الأمام، فنزل إلى الأرض بعد أن كان في الجنة بإغواء إبليس له ولزوجه أول امرأة في الوجود الإنساني. ومع ذلك فالخالق سبحانه علمه أسماء كل شيء.

أما «الفكر» فهو وسيلة معنوية للوعي والفهم، وهو أداة قيمية للتعرف والتفكر على الأشياء في مجامع الوجود الحياتي للإنسان البشري في الكون العظيم. ولا بد من التركيز على التصور الإنساني للوجود بما يضفي على حياة الإنسان نفسه من اتضاح الرؤية في حياته الإنسانية الخاصة وفي وعيه الإسلامي بصفة عامة، لأن ذلك أمر ضروري للوجود الإنساني، فينبغي أن يجعله الغاية في تصوره للحياة. لكن ذلك لا بد أن يجره نحو العمل الصالح في الحياة طالما تفكر وتصور في حياته وريثما عرف فعليه بالعمل، وكما قد علم واعتقد فله أن يحقق النجاح لنفسه.

ولعل أبرز معالم الأدب الإسلامي ـ كما أرى ـ هو هذا العلم وذاك العمل وينخرط «الإيمان» بينهما ليهذب سلوك هذا الإنسان الأديب.. المفكر في ما يكسب ويخطط وفي ما يفعل ويصنع وفي كل الأمور الدنيوية والأشياء الحياتية، التي اجتهد للعمل لها، واعتقد للإيمان بربها.

إن الأدب الإسلامي هو الذي يعبر عن تفكير صاحبه الصافي ووعيه الضافي بحيث يفيد الآخر علماً ومعرفة وثقافة وأخلاقاً. وهذا «مَعْلم» آخر من معالم الأدب الإسلامي والفكر الديني والتصور الإنساني في الوجود البشري الكبير والعلم الفردي الذي ينفع الآخر أيضاً ويدله على بصيرة للحياة، وهو الأمر الذي ينبغي للأديب المسلم أن يفعله وعليه أن يعمله في غضون أفكاره وغصون أوراقه وفي مبادئ أخلاقه وقيم سلوكه. وهكذا ينبغي للأدب الإسلامي أن يتصور.. معالم في تفكير الحياة الأدبية.. وركائز في سلوك الأديب المسلم لدعوته نحو الله والإيمان به والسير إلى هديه في الصراط المستقيم إلى المصير المحتوم.. إما أن نكون أو لا نكون!!

# ظاهرة غابت..!

يكثر في كلام الناس الحديث عن المناسبات، مثل: يا فلان تفضل اليوم الغداء عندي، فيجيبه المدعو قائلاً: ما المناسبة..؟

أو يقول أحدهم: تعال نزور جارنا فلاناً.. فيجيبه صاحبه قائلاً: ما المناسبة..؟ لكأن وجبة الغداء أو زيارة الجار لا تتمان إلاّ بالمناسبة..!!

هناك دواع أخرى لمثل ذلك لا تنحصر أو تتم بالمناسبات، بل يدعو إليها الموقف الإنساني أو الاجتماعي، أو مواقف أخرى لها صلة أو أكثر من صلة بمثل هذه الظروف الاجتماعية والفردية، قد يجتمع لها أخوة أشقاء أو أصدقاء أو جيران تفرقوا عن اللقاء قليلاً أو كثيراً! فيدعو مثل هذا الموقف إلى ما ذكرناه من اجتماع أو لقاء أو غيرهما من الالتئام والتوادد والمسرة، الأمر الذي يجعل من أفراد المجتمع الآخرين مثل الأطفال - على سبيل المثال - يفرحون ويجتمعون على تلك المودة والمسرة والالتئام ولم الشمل. إن الالتقاء على هامش تلك الدواعي في غير أوقات المناسبات للقاء ينم عن الأخوة والمودة في القربى والصلة والجيرة والصداقة، له جدواه

الشخصية والاجتماعية والأخوية والمصداقية المثلى للإخاء والصداقة والاجتماع، وهو أيضاً دليل على نبذ الجفوة والسلبية والاستيحاش والبعد وسوء الظن الذي قد تولده بعض التصرفات التي قد يفسرها البعد كذلك، وهذا يمحوه اللقاء المتبادل حتى لو لم تدع إليه مناسبة أو أخرى!! بل الظروف العامة هي الداعية في كثير من الأحيان والأوقات العادية إلى ذلك اللقاء المفاجئ الذي يجلب معه المسرة والمودة ولقاء الأشقاء والأخوة والجيران والأصدقاء، المليء بالمفاجآت التي نحلم بها في زمن السرعة والظروف الغريبة. إن كثيراً من أفراد المجتمع بحاجة ماسة إلى من يسأل عنهم صحة وظروفاً وهذا لا يتم إلاّ بوسيلة اللقاء، وحذار من الاكتفاء في مثل هذا الظرف التساؤلي عبر الهاتف فحسب، بل ينبغي السؤال من طريق اللقاء كذلك والملاقاة الشخصية، ففي هذا وذاك يشعر الفرد من أولئك بالاحترام والتقدير والسرور والحبور، والواقع أن مثل ذلك ينبغي أن يكون ظاهرة اجتماعية فلا نكتفي بالزيارات في المناسبات فمجتمعنا له عاداته وأعرافه وتقاليده الحميمة، وكان الآباء والأمهات يقومون بمثل هذا الأمر. فما بالنا تركنا ما ألفوه وألفناه منهم؟!

أخي قارئ هذه السطور هل فكرت؟ أكيد.. والله من وراء القصد..

# البركة

من طبيعة الرزق أن يثمر بفضل الله تعالى خاصة وعلى وجه الإطلاق إذا زكاه العبد وقدمه ـ أي الرزق ـ لأهله والمستحقين له.. والثمار هنا يبارك الله فيها لأنها من الحلال.. وهكذا إذا أراد الله لعبده البركة أن يطيب رزقه، ويوسع له من فضله، أو يزداد ماله رخاء وطيباً وسناء. ولقد شرع الله البيع والشراء بالتجارة والاقتصاد والأعمال والصناعة وإيجار المساكن والأماكن التي يستفيد منها الناس في حياتهم ونشاطهم وأعمالهم وأفعالهم الخيرة، ويسر لهم الرزق والثمرات من الزراعة والفلاحة والحراثة وزرع النخيل والأشجار والفاكهة وغير تلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى من كثرتها ونعيمها الجم الكاثر والواجد والغفير.. ﴿**ولكن أكثر الناس لا يشكرون**﴾ (البقرة ٢٤٣)..

وهناك أمور في النعم والأرزاق ينبغي معرفتها مثل الإسراف الذي يذمه الدين والمكسب المضاعف الخارج عن الذمة والمسؤولية.. والغرم الفادح.. فإن البركة في الرزق نعمة لا يذوق حلاوتها إلا القانع الراضي باليسير من الفائدة المادية والرضى بالكثير من الأجر

عند الله الرزاق المكرم سبحانه وتعالى. صحيح أن الحاجة تلح أحياناً ولكن الله كثيراً ما يرزق عبده المحسن، من حيث لا يحتسب، أجر رضاه وقناعته.. وهي الكنز الذي لا يفنى كما في المثل الاجتماعي والاقتصادي المعروف..

إن الله قدر الرزق بين عباده ليكون هذا الرزق سبباً للأعمال والأشغال والأفعال.. هذا يبيع وذا يشتري، وذاك ينفق ويحسن النفقة وآخر يكرم وينعم، وهكذا دواليك، وكما قال أبو العلاء المعري:

الناس للناس من بدو وحاضرةٍ

بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خدمُ

فالتيسيرفي الأرزاق والأعمال مطلوب من قبل صاحب العمل، كما يطالب به البائع والمشتري، وهو مطلوب أيضاً من التاجر والمزارع والصانع وبائع الماشية والسيارة وصاحب أي وسيلة عملية نافعة للناس على مختلف طبقاتهم، في معاشهم ومأكلهم ومشربهم ومسكنهم وملبسهم وصحتهم وعلمهم وعملهم، ومن هنا بفضل الله تنطلق البركة وفي ذلك تكمن مسببات الرضا والخير والفائدة المرجوة.. لنسترجع في هذه الأعمال والأفعال زمناً مضى بأمسه وكسبه وأجره!! هل تذكرون ـ قرائي الكرام ـ البركة.. نعم البركة..! إنها هكذا وكفى..!!

# مواقف معرفية

هناك تفاوت في مدارك الناس وطبقاتهم من الجوانب الحيوية والمزاجية والفكرية وبذلك يتفاوتون في المنطق والشعور والوعي والإدراك، كما يتفاوتون في المعرفة والثقافة والعلم والحلم، والتفاهم والتناظر، وهذه مفارقات ومستويات طبيعية تدخل فيها فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومشيئته الكونية والإرادية على خلقه سبحانه وتعالى. والذي يعنيني هنا ثقافة الناس السمعية أحياناً وثقافتهم البصرية أحايين أخرى التي تتم من طريق الوعي الذهني والفهم الفكري، عبر السمع والبصر والفؤاد إضافة إلى العقل بلا ريب.

ومن ذلك المسموع عند التحاور حول الظاهر والباطن من أمور الناس الإنسانية والاجتماعية والعلمية قول البعض: «وما خفي أعظم». والحق أن لذلك أصلاً في القرآن الكريم وهو في قوله عز من قائل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر**﴾ (سورة آل عمران، الآية ١١٨)، والشاهد هنا في

كلمة أو لفظ «أكبر» وليس أعظم كما يقول أولئك البعض.

كما أن ثمة قولاً آخر وهو «وكفى الله المؤمنين شر القتال» وإنما هو ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ كما في الآية ٢٥ من سورة الأحزاب، كما يقول البعض في أمر آخر من الأمور الشخصية والانفرادية: «مكره أخاك لا بطل» وهنا خطأ نحوي في لغة العبارة في لفظ «أخاك» والحق الصحيح لموقع اللفظة كونها خبراً مرفوعاً بالواو لأنها من الأسماء الخمسة، وليست منصوبة بالألف كما هو شائع عند فئة من طلاب العلم والمعرفة والعامة من أفراد مجتمع الناس.

هذه مواقف معرفية وثقافة عامة من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الناس، ودمتم.

# تاريخ المجتمع المسلم

الذي يتمعن بالفهم في تاريخ الإسلام منذ بعثة المصطفى ﷺ يجد أن الرسول الكريم كان الأسوة الحسنة في تغيير حياة المجتمع المسلم من الضلال إلى الهدى، ومن الظلام إلى النور، ومن السلب إلى الإيجاب، فزكت النفوس، واهتدت القلوب، واستنارت العقول، وصفت الأفكار، وعلت الهمم لعبادة الله الحق في جميع فروع العبادة بعد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر. إن الإسلام بالصلاة والزكاة والصيام والحج غسل نفس المجتمع المسلم من أدرانه وغشاوته ووطره وسقمه، فأصبح هذا المجتمع يبني أفراده ببناء القوة والعلم والعمل والفتح المبين للعالمين، استهداء بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والأدب الخلقي والعلم العملي، فانتشر الإسلام عبر الفتح العام، ودخل الناس في دين الله العظيم أفواجاً لا بقوة السيف ولكن بقدوة الإيمان والمعاملة الحسنة وحب الإيثار وصفاء الحكمة، والإخلاص لله واتباع شرعه والاقتداء بسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فكان الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن الجراح وأبي هريرة وبلال وابن أبي وقاص وزيد

ابن ثابت وسعد بن معاذ وحسان وابن رواحة.. وغيرهم هم المثقفين بعلوم الدين والفاتحين لهديه، والعاملين بشرعه وشريعته بعد أن هداهم الله الحق وأدبهم الرسول الكريم وعملوا بما علموا سلوكاً وتطبيقاً وتفعيلاً للفكر الإسلامي والروح الديني والعلم النافع والأخلاق الحميدة والتعامل الحسن العادل بالحق والفضل والإنصاف.. وإنني أدعو كل أخ وأخت في مجتمعاتنا العربية المسلمة أن يقفوا على حقيقة سلوك المجتمع المسلم في عصر النبوة والراشدين والتابعين من خلال السيرة والتاريخ والتراث ـ بعد القرآن وتفسيره والحديث وعلمه وشرحه.. وذلك في الكتب مثل: سيرة ابن هشام ـ حياة الصحابة ـ صور من حياة التابعين ـ الإسلام الفاتح لحسين مؤنس ـ المجتمعات الإسلامية لشكري فيصل ـ حياة المتقين لمحمود شلبي ـ حياة الصالحين لعبد المنعم قنديل ـ محمد لتوفيق الحكيم ـ سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ـ عبقريات عباس محمود العقاد ـ أسد الغابة لابن الأثير ـ مع العارفين لسعيد رمضان ـ صفة الصفوة لابن الجوزي.. فالمكتبات ـ عموماً ـ ملأى بذخائر الثقافة والعلم والأدب التي بينت تاريخ المجتمع المسلم في حياة النبوة والصحابة والتابعين وبالله التوفيق..

# النقد الذاتي

إن ذات كل منا بحاجة إلى المحاسبة والنقد والمراقبة، فهي النفس البشرية التي تطمع ولا تشبع، وتأخذ ولا تدع، لأن صاحبها جبل على الطمع والشبع والجشع - والعياذ بالله - وفي القرآن الكريم ورد قول الله تبارك وتعالى:

﴿**إن الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسه الشر جزوعاً * وإذا مسه الخير منوعاً**﴾.. (سورة المعارج الآيات ١٩، ٢٠، ٢١).

الأمر الذي يدعو إلى الاستمرارية في ملامة النفس بالمسايرة والمداراة والحيلة حتى تعود بالسلامة إلى وضعها الطبيعي وفطرتها الربانية.. قال الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد إلى قليل تقنع

فلا مناص من مراجعة النفس ومحاسبتها بين آن وآن، وفينة وأخرى، علّها تقلع عن الخطايا والرزايا، وما من سبيل إلى إرضائها فهي تغري صاحبها بالآمال، ولا ترضى بالقليل، فتشعره دائماً

بالمزيد من الرغبات وتطلب منه أن يحث الخطى إلى الكثير والكثير لعله يبلغ جاهاً، أو مالاً، أو منصباً، الأمر الذي يقع معه في المحظور حيناً وتجاوز الحد أحياناً والرضوخ لما له عاقبة وخيمة أحايين أخرى..

إن النقد الذاتي يأتي منسجماً مع غرور متاع الحياة، وكبير طمع الدنيا في حياة الإنسان. وجاء مثل في الأدب العربي: «رضا الناس غاية لا تدرك» ونحن نقول: رضا النفس لا يدرك وإنما بالمزيد والكثير والكبير من المطالب والغايات المادية والمالية والعينية التي لا تحد ولا تقدر بعدد أو مدد! فما السبيل إذاً..؟ قلت: السبيل إلى الحل بتوطين نفوسنا وذواتنا على الأمر الواقع والعلم النافع والعمل بهذا العلم على إصلاح النفس بالإيمان والرضا بالقليل المقنع والمبارك واليسير، فإن مطلب الكثير ليس دوماً شهياً لذيذاً وإنما يعود مسخاً أحياناً، والعياذ بالله، على صاحبه، قال تباركت آياته: ﴿**فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**﴾.. من سورة النساء الآية ١٩.

# الفضائيات في حياة الأمة..

يشكل الإعلام الفضائي - اليوم - أهمية بالغة في حياة الأمة الإسلامية والعربية؛ إذ إن قنواته ظواهر مرئية طوال الساعات الـ« ٢٤ » النهارية والليلية. واللافت للنظر أن كل قناة تبث برامج منوعة لكل مستويات العمر والحياة في أفراد المجتمع بل والأسر بصفة عامة، مثل الأطفال والشباب والكبار من الجنسين، وهذا يعطي مؤشراً على أهمية الإعلام الفضائي في حياة الأمة وهو مجال وعي بالأشياء الإنسانية وخلافها من الأنماط البشرية والدعائية والفنية، ومع وجود بث إسلامي من البرامج إلاّ أن ثمة تحويلاً للرائي بالنفسية العاطفية والمشاعر إلى مواد مرئية ومسموعة أخرى أكثر ميلاً، علماً أن هذا البث الإعلامي الإسلامي - على أهميته - محدود المواد والجذب. وإن القناة الإسلامية التي وافق على إقامتها خادم الحرمين الشريفين كما نشرته جريدة «الندوة» قبل مدة أصبحت أمراً ضرورياً، وفي أقرب وقت ممكن، خاصة - وأن الأمة - تواجه معوقات عديدة تمس كرامتها وفكرها وإيمانها، سواء أكان ذلك مادياً ومعنوياً أم أدبياً ودينياً. نعم كم هي حاجة الأمة إلى القناة

الفضائية الإسلامية بالطرح المفيد المتجدد، القائم على أسس الفكر الديني بين الأصالة والمعاصرة والتراث الإسلامي والأدب العربي، والفكر المعاصر والثقافة الحديثة، وبالطريقة الحكومية الرسمية، لأن هذه الطريقة ستكون خير معوان للنظر والإشراف والمتابعة والدعم الديني والمادي نحو هذه القناة المهمة في حياة الأمة اليوم.. كما أن هذه الطريقة أو الوسيلة سيكون لها وقع في النفس وأثر في الروح للمشاهدين والمشاهدات حيث يكون الأمن النفسي في الداخل.. داخل الذات، والذهن الصافي في التفكير؛ على أن إقامة قناة فضائية إسلامية، وبناءها إعلاماً إسلامياً، قد أقر بشرعيتها مفتي المملكة العربية السعودية سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ في لقائه مع جريدة الوطن الأحد ١٤٢٢/٧/٤هـ العدد (٢).

قلت: وظهور هذه القناة الفضائية الإسلامية سيكون إنجازاً فكرياً إسلامياً من حيثيات عدة كالدعوة وإثراء الثقافة وازدهار الأدب الإسلامي العربي والتراث الديني والأدبي، كل ذلك تحت ظل تعاليم الإسلام قرآناً وسنة، فقهاً ووعياً، ودراسة وعروضاً. فمرحباً بها.

# واقع الأمة

في عصر الطاقة المادية والعولمة السريعة تشكو مراكز البحث والدراسات العربية من أزمات مالية مستعصية في حين تصرف الأموال على مواد كمالية بمعدلات جمة، وهذه واجهة سلبية تضاف إلى التشوه الذي أصاب صورة العرب في الغرب مثل القول إن الشرق العربي والإسلامي مجتمع تركيبي والمجتمع الغربي تحليلي! أو إن العلم للغرب والروحانيات والتصوف للشرق، وإن الشرق شرق والغرب غرب فلن يلتقيا!!

بهذه المقولات خسر العرب كثيراً في ميادين كثيرة مثل الصراع مع إسرائيل، الغزو الفكري، الإنفاق المالي في غير طائل، انتشار الأمية الثقافية. والواقع أن هذه الأمور تصنّف الواقع العربي في نظرة الغرب إليه بمطامع متزايدة فكرياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً وتجارياً.

إن الغرب صاحب الثروات الصناعية والمادية لديه حفاظ قوي على ثروته من خلال التصدير والاستثمار العريض والسياحة المغرية والتجارة الرأسمالية ذات التميز الحر، وإذا كان العرب لا تنقصهم

الثروة المادية فإن الضحية في التبعات هي التي طالت الفكر الاقتصادي والسياسي العربي! ولذلك حدثت الفجوات المادية والسياسية والعسكرية والإعلامية، الأمر الذي جعل غيرنا من الأمم يكيلون علينا الكيل بمكيالين! وإن الفكر العربي يعيش أزمة مزمنة تجعله يعيد حسابات الماضي المجيد التاريخي، وهذا يبرز في ما تذيعه الوسائل الإعلامية والفنية ويكلفه ذلك الباهظ من التبعة المعنوية التي تسبب الإدمان والجريمة صحياً وأمنياً، وهذا يحدث من العكس لأن القنوات الفضائية والإعلانات التجارية لا تصور الماضي بل تمثل مسلسلات فنية عاطفية حول الحب والزواج والخيانة والطلاق، بالإغراء المادي والتمني السافر.

إن ما يتطلبه الواقع العربي اليوم هو إصلاح إعلامه والتجارة والاستثمار الحر العريض وصرف المزيد من الدفع للتعليم والتصنيع والضمان الاجتماعي القوي والصحة والإقلال من الصرف الكثير على الكماليات وضرورة النظر في المسائل العامة للأفراد والمجتمع في ما يتعلق بالعمل والإنتاج والإعلام والعلم والثقافة لإيجاد فكر عربي مسلم ومجتمع إنساني راق، وأمة حيوية، وهذه معالم إذا برزت في الحياة احترمها العدو قبل الصديق شريطة أن تكون عملية لا مثالية، مطبقة الواقع والفعل العملي في السلوك اليومي في الحياة.

# الفكر السياسي

يسعى كثير من قادة الفكر السياسي وزعمائه إلى ضم رجال للاستشارات السياسية والدبلوماسية، يمتازون بالرؤية البعيدة لأحداث العالم وأخباره وتعميق النظر في الأمور الاقتصادية المرتبطة بالعمل السياسي والسلك الدبلوماسي، وكذلك في تطوير العلاقات الدولية ذات الصلات الوثيقة بالشعوب والأمم. فهؤلاء الرجال يبدون قدرات على حل معضلات السياسة وفكرها المستعصي على قراءة العدو لأعماله التي لا يستقرئها إلا جبار قوي أو مفكر جريء، كما يعمل هؤلاء الرجال على تقريب العمل للزعماء والحكام وتبويب الأفعال.. والأعمال في الثكنات العليا والمحافل الدولية وموائد المفاوضات ومدرجات المؤتمرات ولجانها ووفود الزيارات والبعثات وأوراق العمل السياسي والفعل الدبلوماسي والرسائل الخاصة. ويجد قادة الفكر السياسي وزعماؤه في هؤلاء الرجال مؤهلات عالية واستعدادات متكاملة وقدرات فطرية وفكرية سامية، وعلوماً وآداباً وثقافات واسعة، كما يجدون فيهم التفكير المنظم والعميق، والحلم الرصين، والصبر الجميل، وقوة التحمل في

المهمات الصعبة، والقدرة على تذليل العراقيل والصعوبات والمعضلات والمعوقات. وهناك رجال آخرون يسترشد بهم القادة والزعماء في السياسة مثل وزراء الخارجية، وهؤلاء متخصصون في إدارة الأحداث الدولية ومعالجة المشكلات الناجمة خارجياً، أو ذات الصلة بالعلاقات بين الدول والصراعات العالمية التي تلعب كل دولة دوراً فيها، وكذا إقامة العلاقات وتبادل الزيارات بالوفود والرسل والمبعوثين. إن الفكر السياسي له تفعيلات عملية لإرساء مبادئ السياسة وقواعدها وله أسس وقيم وثيقة العرى على المستوى الدولي والدرجات العالمية، فهو يحمل طاقات علمية وسياسية ودبلوماسية، والناظر في العمل السياسي يجد له مجالات حيوية وعوالم متسعة للإدارة والتسييس وتطبيق النظم والقوانين وإقامة الشرعية للحقوق والواجبات الإنسانية والدولية.. وهذه معالم متعارف عليها لها حدودها النظامية والقانونية والدستورية التي تضمن لرجل السياسة صلاحياته العملية والفعلية كما أن للسلطة السياسية شرعيتها الحكمية وتطبيق الأنظمة الحكومية في سائر دوائرها الرسمية، وهذا يتم ويستتب بعقليات الرجال السياسيين الذين تعينهم الدول بحسب اللوائح وأنظمة الحكم في بلدانها على جميع المستويات الوزارية والإدارية والشورورية، أولئك الرجال الذين درسوا العلوم واشتغلوا بالواجبات وعملوا على كل ما من شأنه رفعة مجتمعاتهم وأوطانهم والمبادئ القيمية الإنسانية والاجتماعية.

# فكرة المقدمة الكتابية

كان الأقدمون من الكتّاب والمؤلفين والدارسين حين يؤلفون كتبهم ومصنفاتهم يبدأون بكتابة المقدمة، يوضحون فيها هدفهم من الكتاب وسبب تأليفهم له والباعث على هذا التأليف وسوى هذا وذاك من الإيضاح، يرومون بذلك كله النية لنشر العلم والمعرفة والثقافة بلغة العصر وروح العلم المفيد والثقافة النافعة. وقد فعل ذلك كثير من العلماء والأدباء مثل الجاحظ وابن قتيبة وابن دريد والخليل بن أحمد الفراهيدي وابن سلام الجمحي وغيرهم.

ولا أزال أذكر كم كان يوصيني الدكتور حسن باجودة وزملائي بأن نطلع على مقدمات كتب السلف القدماء مثل مقدمة تاج العروس شرح القاموس للإمام الزبيدي ومقدمة كتاب الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام للإمام السهيلي.

وعندما قمت بالاطلاع على تلك المقدمات الطويلة لتلك المصنفات اكتشفت كنوزاً من المعرفة وأرتالاً من العلم وذخائر من التراث الثري الغني المعطاء.

ومقدمة الكتب القديمة لها دلالات علمية وإشارات معرفية وأمارات أدبية، ففيها معلومات مفيدة قد لا تأتي في الكتاب المقدم، أي في صلب الكتاب المؤلف. فهي على إيجازها وقصرها وقلتها تحوي جملاً من الثقافة وعبارات من العلم والفهم الأصيل للوعي والمعرفة والفكر والأدب والدين والبصيرة، لتاريخ حافل بالعلوم والفنون والآداب والثقافة كانت ذخائر وكنوزاً وتراثاً وصل إلينا منه المدون فقط في الكتب.. كتب التراث، وما اندثر منها كثير ثمين. حتى أنَّ أبا عمرو بن العلاء قال: «ما وصل إلينا من علوم القدماء ولغتهم إلا الثلث!!» وتأمل هذ المقولة جيداً ففيها رمز الكثرة العلمية والثروة الفكرية والذخيرة الأدبية يشير إلى علم ذهب مأسوف عليه، وذلك بفعل الغزو أو التنقل والرحلات والأسفار، أو مما ذهب قد يكون له سبب أو أكثر من سبب، بفعل الطمر أو الاندثار أو الدفن أو النار أو العبث ممن يجهل قيمة هذا العلم. وإنها لفكرة مفيدة، ورأي صائب، ووجهة نظر محترمة، أن يصنف المؤلفون المقدمات لتحديد الغاية مما صنفوا، وتحديد الغاية مما سيكون مكتوباً بعد!! ولكن عصرهم غير عصرنا، وزمانهم كان مباركاً عليهم، في حين أضعنا نحن الكثير في زماننا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولكن لا ينبغي أن نكون على يأس من الأمر، بحيث نستصعبه أو نجعله من المحال! فهذا الأمر إذا تدبرناه، معنى وهدفاً وخلفية، ظهر لنا شأنه، وسهل علينا بالذات.

ولعل ثمة مؤلفين ونحن لا نعلم أو نشعر بكتاباتهم ينحون فيما يؤلفون منحى القدماء، من العلماء والأدباء، في تقديم إنتاجهم الخطي المكتوب بمقدمة توضيحية قبل بدئهم بكتابة الموضوع المؤلف، ولما ينتهوا منه بعد، فيسيرون قبالة الخط بالقلم

للموضوعات التي يقصدون بها التأليف، فيمضون قدماً حتى آخر صفحة في المؤلف المكتوب أو المخطوط. أمّا كتّاب العصر الحديث فإنهم يوضحون في المقدمة التي يكتبونها، بعد الختام والخلوص من التأليف والانتهاء منه، منهج الذي كتبوه وعدد فصوله وأقسامه، وقبل ذلك التمهيد وأثر البيئات التي تحوط كتبهم كأن تكون موضوعاتها تاريخية مثل تراجم الأعلام وقادة الفكر والأدب! والفرق ـ أخي القارئ ـ شاسع بين النموذجين من الكتّاب!!

# مآثر العرب على حضارة الغرب

في هذه الفترة الزمنية التي يشهدها العالم أجمع، شرقه وغربه، والمنطوية على إبراز روح التحضر لحياة السلوك القوي، ينسى كثير من الغربيين أثر العرب في حضارة أوروبا الحديثة وتأثر الغرب بالحضارة العربية الإسلامية. وإن التاريخ البشري المنصف قد أثبت ذلك حتى من طريق ومقولات بعض الغربيين أنفسهم مثل جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) وزيغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب).

وهذا موقف حميد وإن لم يكن سابقاً على الفكر العربي الإسلامي الذي شهد تاريخه اعترافاً في الكتب التي عرّبها بعض رجاله مثل حنين بن إسحاق وسواه عن الكتب اليونانية القديمة ولا سيّما في مجالات الفكر العلمي الرياضي والطبي والفلسفي والكيميائي أيضاً.

ولم ينكر الفكر العربي أسبقية الفكر الإغريقي في هذه العلوم، وإن لم يكن ذلك استنساخاً للصورة طبق الأصل كما يقولون، بل كان ذلك ضمن مراحل التاريخ البشري الذي بطبيعة الحال سجل ذلك على أنه علم أتى قبل العرب، أو لنكن دقيقين قبل ميلاد

الحضارة العربية الإسلامية بحقبة زمنية ليست طويلة في حساب التاريخ.

إن في كتب الحضارات سجلات كتبت على أن العرب المسلمين الذين فتحوا إسبانيا وصقلية وغيرهما، قد تركوا بدينهم الإسلامي وأدبهم العربي وأعرافهم وقيمهم الحميدة مآثر صادقة وناطقة ومؤثِّرة في حضارة أوروبا الحديثة. ولولا الحضارة الإسلامية العربية التي بزغت شمسها بالبعثة النبوية وفتوحات العرب المسلمين من الصحابة والتابعين الكرام الأشاوس للعالم كله آنذاك، لما استنار العالم أجمع اليوم وبالأمس القريب بنور الحضارة الإنسانية على مر العصور، ولما عرفت أوروبا كيفية الوصول إلى قمة التعرف على أصول الصناعة والتحضر، وإضفاء الصبغة العلمية والفكرية والمنطقية على روح الحضارة الصناعية.

وكان هذا التأثير حياة جديدة استيقظت على بدايتها جميع أوروبا، منطلقة إلى حياة علمية وفكرية وعلى أنغامها ابتدأ المجتمع الغربي حياته العلمية والعملية بضياء جديد، بل إن هذا المجتمع بمجيء العرب الفاتحين بدأ حياته الاجتماعية والأدبية بعد أن كان سادراً في الظلمات لا يفقه من الحياة العلمية والفكرية شيئاً. ولا بد من التصور ـ هنا ـ لبعيد من التاريخ، وهو ما تحلى به هؤلاء الفاتحون من بصائر متفتحة، وقدرة على التوجيه الإنساني، ودين قوي يجعل عقيدة المتحلي به قادرة على هذا التوجيه والإرشاد والقيادة الحكيمة في هذا المجال لتصحيح المسار العقيدي من ضلال إلى هدى، ومن خطإ إلى صواب، ومن بصرٍ إلى بصيرة، ومن باطل إلى حق، ومن ظلمات إلى نورٍ ساطع وضياء منير. ولعل ما يميز أثر العرب في الغرب ويجعله راسخاً في ذاكرة التاريخ هذه الشمولية في التأثير

الأدبي والديني والإنساني والاجتماعي والعلمي والعملي، بل أكثر من ذلك ما تحلى به الفاتحون العرب المسلمون من أخلاق حميدة وأمانة علمية وأداء مخلص للأعمال ومن وعود منضبطة في أثناء هذا التعامل الجميل في جميع مناحي الحياة الإنسانية والاجتماعية والعلمية والأدبية والمعنوية والمادية.

لقد تأثر الغرب بالعرب في فقه الحياة وهذا ما انعكس على القانون الفرنسي حيث كان لانتشار المذهب المالكي في الفقه الإسلامي أثره الواضح في القوانين الأوروبية في المعاملات والقضايا والمشكلات في ما بعد.

وكذلك تأثر الغرب بالعرب في حياتهم الأدبية وكان لشعر الموشحات والأزجال العربية أثر في شعر «التروبادور» في جنوبي فرنسا، ومن ثم تأثر الأوروبيون بمناهج البحث العلمي القائم على التجربة والبرهان في مجالات الطب والعلوم والفلسفة والرياضيات والبصريات والتحاليل الكيميائية.

وهذه الأوجه من ضروب التأثير الحضاري العربي والإسلامي قد سجلتها عيون التاريخ الحديث، حيث كان المنهج العربي العلمي والطبي والرياضي والفلسفي في جامعات فرنسا وإسبانيا والنمسا هو السائد على التعليم والتدريس فيها قبل ثلاثة قرون. كما كان لمؤلفات ابن سينا وابن رشد والزهراوي وابن طفيل وابن حزم وغيرهم من علماء وأطباء وفلاسفة العرب المسلمين الدور الأكبر في صياغة صنع الحضارة الغربية في العصر الحديث، ومن طريق هذا التأثير الواضح استطاع العرب المسلمون تكوين حياة جديدة على ضوئها كان الترقي العالمي للبشرية في العلوم والصناعات والآداب والفنون والثقافات والمعارف والفكر الإنساني الجديد.

# ما خلا العلم، فإنه يعز إذا كثر!

من سير الأعلام في تاريخ أمتنا الإسلامية ما جاء في ترجمة الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو الحافظ الورع، أنه حج فدعا الله أن يفتح عليه علماً غير مسبوق، فأجاب الله دعوته وفتح عليه علم عروض الشعر.

كان الخليل إماماً في اللغة والنحو والدين، زاهداً عالماً، فكان يقول «إني لأقفل عليّ بابي فما يجاوزه همي»، عاش في خصٍ أي بيت من قصب بالبصرة، لا يمتلك فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال. والأعجب من ذلك أنَّ بعض الملوك ـ كما ورد في شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ طلبه ليعلم بنيه فأرسل إليه، فلما وصل إليه الرسول قال له الخليل: ما زالت هذه الكسرة تكفيني فلا حاجة لي في مولاك، ولم يذهب إليه. قال ابن رجب في كتابه: هذا منتهى الزهد.

والخليل رجل فاضل بحق، صادق الإيمان تقي صالح، زاهد ورع، وكان سفيان الثوري يصف الخليل قائلاً: كأن وجهه من عسجد أو مسك، وهذا انعكاس الصلاح والتقوى والورع.

وقد أخذ الخليل العلم عن جماعة من التابعين مثل أيوب السختياني وغالب القطان والعوام بن حوشب.

روى النضر بن شميل ـ أحد تلاميذ الخليل ـ: أخبرنا الخليل بن أحمد قال: سمعت أيوب السختياني يحدث بحديث فلحن ـ أي أخطأ في اللغة أو النحو فيه ـ فقال: أستغفر الله، قال الراوي: يعني أنه عد اللحن ذنباً..

قلت وكان عمر بن الخطاب يضرب أولاده على اللحن في اللغة والنحو ولا يضربهم على الخطإ، ذلك لأن الخطأ يصلح بالقول، أما اللحن ففي الحال.

وكان عمر رضي الله عنه كثيراً ما ينشد قول النابغة الذبياني:

ولست بمستبق أخاً لا تلمُّه

على شعث أي الرجال المهذب

وكان الخليل كثيراً ما ينشد:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد

ذخراً يكون كصالح الأعمال

وهكذا القول الفعال والأدب الرفيع والحكمة الأصيلة والإنشاد البليغ الفصيح. كان السلف ينشدون الصالح من الأعمال، والطيب من الأقوال، فذلك هو الذخر الثمين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون**﴾ (سورة إبراهيم الآيتان ٢٤ ـ ٢٥).

وهذا هو الأدب والعلم، قال الإمام علي كرم الله وجهه: «كل شيء يعز إذا قل، ما خلا العلم فإنه يعز إذا كثر».

وما أفضل الأدب مع العلم والفهم. روى الأصمعي: قال لي أعرابي: ما حرفتك؟ قلت: الأدب، قال الأعرابي: نعم الشيء، فعليك به فإنه ينزل المملوك إلى حد الملوك.

قلت: وهذا من علوم العربية النافعة والأدب العربي الرفيع. ألم تسمع ما قال عمر رضي الله عنه؟ لقد قال: «تعلموا العربية، فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة».

وعود على بدء مع الخليل بن أحمد رحمه الله أختم المقالة:

قال أيوب بن المتوكل: «كان الخليل إذا أفاد إنساناً لم يُره أنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً أراه أنه استفاد منه».

قلت: وهذا منتهى الطلب للعلم والتواضع في جنب الله، فإن من تواضع لله رفعه. رحم الله الخليل فقد كان عاملاً بعلمه. قيل إنه رُئيَ في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: «غفر لي بأن أعربت لتلميذي سورة الفاتحة»..

# علي أحمد باكثير رائد الفكرة الإسلامية في الرواية والمسرح

من رؤيته الفكرية الدينية الإسلامية للآداب والفن والثقافة انطلق عمله الأدبي العام وبالذات «واإسلاماه» الرواية التي عُرف بها علي أحمد باكثير، لا لأنه كتبها، فقد كتبها نعم، ولكن ثمة موقفاً استطاع باكثير أن يعبر عنه في الصميم، إنه موقف معركة الإسلام الحاسمة ضد أعدائه في القدس.. في فلسطين. هذا الحسم لقضية تعيشها الأمة الآن بمرارة، فهي ذكرى لصلاح الدين وأهل عصره استطاع معهم استرجاع القدس.. فلسطين، أما اليوم فالمأساة أشد مما كانت القدس تعيشها قبل أن يسترجعها صلاح الدين. هذا الموقف أدركه باكثير قبل نصف قرن، تحسسه بثاقب بصره واتساع نظره قبل أن تسقط القدس.. بل إن باكثير قد تنبأ بقيام دولة البغي في فلسطين قبل عام ١٩٤٨، ولم يزل في بداية الأربعينيات، الأمر الذي حصل.

إن باكثير أديب صادق الحس والشعور، مفكر بعيد الرؤية، فيلسوف ثاقب النظر، يقلب الفكر بيد راجحة، ويأخذ الأمور مأخذ الجد ويسدد الهدف الأدبي بإتقان.

وقد اتسعت خبرته بكتابة المسرح وكتابة الرواية بعد اطلاعه الواسع عليهما ودراسته لعالم المسرح والقصة في آفاقه الواسعة وعالمه الشاسع الواسع.

وإذا كان باكثير الروائي والمسرحي أديباً عظيماً فإنه كان يملك من الفكرة الإسلامية الكمَّ الكثير والدور العظيم الذي اضطلع به إسلامياً في عالمه المسرحي والروائي.. إذ استقر التاريخ.. تاريخ الأمة فكتب في مجاله ذلك باقتدار. وكانت الفكرة الإسلامية نصيبها من عقل باكثير كبيراً، ويدل ذلك على اهتمام كبير منه في سبيل الأدب الإسلامي إذ كان رائداً مرموقاً فيه عملياً وفكرياً وأدبياً وعلمياً.

ويعتبر باكثير أستاذاً لكبار الروائيين - في مصر بالذات - مثل نجيب محفوظ ونجيب الكيلاني ويوسف السباعي. وكان له فضل على كتّاب القصة عموماً في العالم العربي والإسلامي.

فقد شرع المسرحية الشعرية بعد أحمد شوقي الذي عرّب كثيراً من أعمال الأديب الإنجليزي وليم شكسبير.

وكان باكثير موفقاً في هذا المسار من الأدب، حيث بدأ أعماله الشعرية بمسرحية «همام أو في بلاد الأحقاف». وهي تجربة رائدة - على شيء من القصور لكنه قليل جداً - لأن باكثير اجتهد كثيراً في هذا النوع الجديد من المسرحيات وبالذات الشعرية منها، خصوصاً وأنه قد ألّف هذه المسرحية في سن مبكرة جداً من حياته العمرية والأدبية والتأليفية في حضرموت، بلده الأم التي هاجر منها إلى ربوع الحجاز وسواحل الصومال ثم إلى مصر حيث استقر به المقام. وهناك انتظم في كلية الآداب بجامعة القاهرة قسم اللغة الإنكليزية.

إن ريادة باكثير ليست في المظاهر التأليفية وإنما ريادته تقوم مؤسسة على الفكر الإسلامي الذي يحمله، والأدب الأخلاقي الذي يتحلى به في كل أعماله الحياتية والأدبية. فهو أديب مؤمن، ينطلق إيمانه من معتقده المستلهم بالله والمستسلم له سبحانه وتعالى، بإيمان عميق وإسلام رضي وعقيدة سمحة. من هذه الأسس الثلاثة

انطلق باكثير إلى الحياة.. الحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية.. الحياة الإنسانية بصفة عامة. وإذا كان رجل بهذه السمات والمزايا الخلقية والإيمانية والأدبية فيعني هذا وقوفه على المبدإ الأخلاقي في مسرح الحياة كلها.. وليس في مسرح الفكر أو مسرح الأدب فحسب. ولذلك فقد واجه باكثير أكثر من خصم حسده على هذه المنزلة المبدئية والكريمة والعظيمة، وبالأخص اليسار المنبوذ الجاهلي حيث أدرك أنه لا حياة لمن لا مبدأ له، ولذلك استمر يؤلف مسرحيات وروايات ولم يتوقف حيث ترك رسالة وجدت بعد رحيله مفادها: «لقد أوقفوني عن المسرح ولكنهم لم يستطيعوا إيقاف مبدئي وعقيدتي في فؤادي وعقلي وضميري». وها هي أعماله.. أعمال باكثير الكثيرة المباركة العظيمة تتوالى في الأسواق.. أسواق الأدب والكتب والمؤلفات، بل إنها اكتسحت الساحة الثقافية، فبعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً على رحيله تتجدد طبعات كتبه وتكبر كمياتها، وتتوزع في أنحاء كثيرة من العالم من مصر إلى حضرموت ومن طنجة إلى جاكرتا ومن الشام إلى الخليج.

ولقد عرف في مجتمعه العربي المسلم بالتحليق في عالم الفكر الأدبي.. الروائي والمسرحي ودراسة الآداب والفنون والثقافات، في عالم الفكر المتسع ودنيا الأدب الفسيحة وعالم المسرح الكبير. وهناك جوانب كثيرة في ما لو أردنا الكتابة عنه بتوسع مثل: عالمه الأدبي، اطلاعه على التاريخ، فكره في الحياة الإنسانية والاجتماعية، عمله في الحياة العامة، علاقاته بالآخرين، ميوله الفنية، موهبته الشخصية.. إلخ. ولعلنا نقوم بذلك إذا مد الله في العمر.

رحم الله علي أحمد باكثير فقد عاش إنساناً بسيطاً لكن بفكر العظماء، وموهبة الأدباء، وعبقرية الفنانين.

# في اتجاه التاريخ

اللحظات التي تكوّن الساعة، واليوم والأسبوع والشهر والعام، لحظات سعيدة، حيث يعيشها الإنسان باتجاه التاريخ..

هذه اللحظات العجيبة.. المدهشة.. الممتعة.. طالما أرقت المؤرخين ليكتبوها حبراً على ورق، وفكراً على السطح، وأسطراً من نور!!. نعم!! إنه التعبير البليغ عن النزوع إلى إبدع متجدد في عالم الإنسان..من الحق والخير والجمال والألفة والوفاء والصدق والكرم والعطاء والعبودية للحق تبارك وتعالى.. حيث الإيمان بالغيب والملائكة والكتب والرسل والقدر.

هذا التاريخ جميل في مكنوناته! وعطوف في تلافيفه..!ورائع في ذاته! لا يتذوقه إلاّ من أوتي قوة التلقي والضمير الحي والفكر العميق. إنه باتجاه تاريخ الحب والإيمان في الإنسان نحو ربه خشوعاً، ضميراً، إيماناً، صدقاً، وفاء، الشيء الذي يفهم الإنسان بتعاليم السماء، ويريه العيش، والوقار، والعلم، والحياة، بالتلقي الحسن والعطاء المربح.

هذا التاريخ أعطى الإنسان الكنز، المفاجأة، الخبر الخيّر، بلا حدود، حيث يستمر عطاؤه من الماضي للحاضر ونحو المستقبل بمعنوياته وآفاقه وأفكاره. التاريخ - إذن - إبداع الغيب، وعطاء المؤمن، واحتضان الإنسان قبولاً رضياً واستهلاكاً ممتعاً، وإضافة جيدة، حيث يدور هذا التاريخ بعطاءاته وخبراته عبر القرون والسنين والحاضر العتيد والمستقبل المأمول، لماذا؟ لأنه مخطوط محفوظ في اللوح والكتاب والسنّة والسيرة، يقتفي كنوزه وغطاءه الإنسان من خلال المعرفة، الفكرة، المعلومة، المعنى، القيمة، الخلق الدمث، والكرم الفاضل من قبل المؤرخين، العلماء، العارفين، الباحثين، الأدباء، الرواة، المحدثين، والشعراء، ويدخل في هذا الإطار أصحاب الحقوق، المحققون، الطابعون، الناشرون، الموزعون، كما يحق الثناء على المتبرعين والممولين.. إلخ.

هذا التاريخ يستحق المحافظة كتاباً، المعاناة تأليفاً، التلقي قراءةً، الأمانة بيعاً!! الأمر الذي يجعله متداولاً بين الناس، الأمة، البشر، الأنام، جميعاً، حتى يتحقق الهدف المطلوب منه.. وهذا دليل على المحافظة والعناية والرعاية. وقد أعجبني في هذا السياق ما قاله عبداللطيف شرارة في كتابه: «الفكر التاريخي في الإسلام» ص٦: «كانت هذه العناية بالتاريخ، وهي في جوهرها عناية بالإنسان، سبباً فعالاً في نشوء كثير من الدراسات العلمية، والجغرافية، والفلكية، والجمالية، فضلاً عن الأدبية واللغوية، لدى العرب، ومن ثم لدى غيرهم من الشعوب التي اتصلوا بها، واتصلت بهم».

# الكاتب والفكر

يبدو أن الكتابة.. كتابة المقالات، والكلمات التي أصبحت متكررة ومكثفة من كتّاب عديدين وكتبة مكثرين، جعلت الكثير من أصحابها لا يبالون بخلفيتها الفكرية وموضوعيتها المعقولة، فصار كتّاب عديدون يثرثرون بالقلم، ويتلاعبون بالكلمات والجمل، بأسهل فكرة ناشزة من الخاطر دون تقليب لمعناها المفيد ومقصدها المعقول. فيكتب الواحد جملاً على هذا الطراز، وتتعدد السطور بها، ثم يبدو جلياً لمن طالعها النشاز في الأفكار، والفراغات في المقصد، والثغرات في ما يحاول هذا أو ذاك من الكتبة في التعبير والتسطير..!!

والحق ليس في هذه الكتابة، وإنما يتجرأ الواحد منهم على خوض الغمار برغبة أنانية، ومغالطة فكرية، وتشدق بكلمات للناشر، يسمع من أطرافها «الشطارة» و«المنجهة» و«الواسطة» وأن مركزه اجتماعياً في مؤسسة كبرى وجامعة عليا، و... إلخ، هذه إحدى صور الكتّاب من نوعية واحدة..

وهناك صور أخرى لبعضهم مثل أن يعمل أحدهم تفكيره لغاية في نفسه، فهو رجل قادر على كتابة أي شيء بكلمات قصيرة الجمل لكنها تعني ـ وهو مركزي ـ أن يبدع أفكاراً رسمية، ومعاني وطنية، يعبر في مقالاته حول ملاحظاته الملونة عن مشاريع تنموية، أو مقدرات نهضوية. فهو بحكم تعدد وظائفه السابقة قد خبر خلالها ما يمكن أن يزين به الأفكار، مع أن أسلوبه متداخل الألفاظ وبشيء من التزويق

وتصوير الرموز، وتعداد المعالم، وذكر الحاجيات، وما إلى ذلك في السطور لمقالاته الدسمة بالمعلومات المغلوطة حيناً، والنشاز حيناً آخر، حتى أصبح يشار إليه بالبنان، والشهرة، وتبوؤ مكان سامٍ!!

هذا في الواقع استلاب للفكر.. فكر القول وفكر القلم، وتشنيع لرسالة الكاتب الحقيقية! وادعاء أنه مفكر مهم، وكاتب متألق، ومثقف مبرز!! إنني أتمنى أن يبدع كل كاتب بجدارة هذه الرسالة.. الرسالة التي سترت عن أولئك الكتّاب المشار إليهم سابقاً، ولكن مهلاً! فرسالة الكاتب في أي مجتمع جد ثقيلة المعنى، عميقة المرسى، عويصة المسار، ذات طرق وعرة، وإمكانات قرائية وبحثية واستقراء لذخائر الفكر الإنساني عبر العصور الحضارية والعلمية لمختلف تواريخ الثقافة والمعرفة في الدراسات والبحوث والآراء والأفكار وشتيت المعارف والمعلومات والمعاني والقيم وسائر الإبداعات الأدبية الفكرية، التي ترتبط بالكتب، والرسالات، والشرائع، والمعتقدات في العلم الرباني، والترشيد النبوي، والاستنباط الفقهي، والتعبير والشرح المبين لذلك كله، ثم استخدام القلم والرواية والكتابة والتأليف بالدراية والحفظ والإتقان ثم الاجتهاد والاستنباط والتخريج العلمي، والتعلم التربوي، والتحصيل المعرفي قبل وأثناء ذلك، ومن ثم يتوفر لنا مؤلفون حقيقيون، ومفتون مجتهدون، وفقهاء واسعو الأفق، وعلماء عارفون، وطلاب للحقيقة، ومدارس فكرية، ومذاهب متوحدة، وتوجهات متعددة يصب جميعها في بوتقة الفكر الإسلامي والتراث العلمي، والأدب المتسع بفنونه والرأي وشؤونه، ومعالجة الواقع المعرفي وشجونه. إن الكتابة والتأليف مطلوبان بقواعد الفكر والوعي وأصول الفقه والشرع، وأسس ومناهج العلم والمعرفة، وهذا جميعه مخطوط في المصادر الأولية من تاريخنا الفياض بالمؤلفات.

عندها يغدو لنا كاتب مفكر، وعالم مجتهد، وأديب ألمعي، ومدرس قدوة، وطالب حقيقي.

# خطر اليهود
# على فكر المجتمع المسلم

إن الأحداث التي تجري حالياً على أرض القدس.. أرض مسرى رسول الله ﷺ.. القبلة الأولى للمسلمين.. أرض فلسطين، جد خطيرة. ويحاول الإسرائيليون طمس هذ القدسية المسلمة، والروحانية المؤمنة من على وجودها هناك، وإبادة الحياة والحقيقة فيها.. لا بل دمر اليهود البيوت في المدن وقتلوا أهاليها وأسروا شبابها ورملوا نساءها ويتموا أطفالها، وشردوا الآمنين وذبحوا العجزة وأماتوا المرضى.

إن خطر اليهود قد تفشى على الفكر الاجتماعي العالمي. وبوسائل إعلامهم النافذ في كل أنحاء العالم أصبح الخطر يمس الفكر الاجتماعي لدى المسلمين، فوسائل الإعلام العالمية تقوي من أخبار اليهود وتصورهم على أنهم محاصرون في وسط فلسطين، وأنهم يعيشون الإرهاب ـ بالباطل ـ إلخ، وهذا من شأنه أن يلقى اليهود عطف العالم، وتُطوى صفحة فلسطين والفلسطينيين من على سجل الوجود، ومن الواقع السياسي والمدني!! وأي خطر أدهى من ذلك؟ وأي بلاء وأي مصيبة أشنع وأبشع منه؟!! ولا من صدى فعلي يمسح بطلان الفكر اليهودي وفتكه بأمتنا المسلمة! إن خبر

الأحداث المرعبة هناك كأنه لا يعني الأمة.. أمتنا المسلمة! وما من مريد للخير إلاّ أن يكون فكر المجتمع المسلم يقظاً لإملاءات الفكر السياسي العالمي الذي يملي إليه الفكر اليهودي بالدجل والكذب والبهتان وإلباس الباطل لباس الحق، وإحالة الأسود إلى أبيض!! إن المجتمع المسلم هو المعني بالتبشير العالمي خلف الصهيونية، ذلك الفكر الذي أضل كثيراً ممن سمعوا سمومه من سوى المسلمين، وإن أخشى ما يخشاه المخلص للحق الشرعي الإسلامي هو أن يستفحل هذا الخطر على فكر الأمة التي تمر بمرحلة ظرفية حرجة وخطرة جداً جداً!! من النواحي الاجتماعية والتعبدية والسياسية والجدية والكمالية، الأمر الذي سيشهد التاريخ لذلك صفحة سوداء وسجلاً أسود في القابل من الأيام والأعوام!! ومتى سجل التاريخ فإنه يسجل الشيء كما هو!!

إن الدروس من أحداث فلسطين عديدة المعنى وكثيرة المغزى، والأمر بات بين يدي ولاة الأمر! وما عسى أن ينتج فكرهم بعد أن شهد العالم هذ الصمت الرهيب!!

والإعلام البارد والإعلان المادي والصور العارية والسلوك المتبلد والحياة الرتيبة!! متى هذه، كثيرة السؤال، وانعدام الجواب إلا ما رحم الله تعالى!!

إن قضية فلسطين ـ قضية القدس ـ هي قضية الأمة المسلمة، وهي قد غدت هكذا بحكم الواقع الدعوي والفتح الإسلامي منذ أن أسرى رسولنا الكريم إليها ومروراً بدخول عمر بن الخطاب وغلبة صلاح الدين وقطز على المغضوب عليهم وانتهاء بعز الدين القسام وأحمد ياسين!! وما لم تتحقق الحقيقة المؤمنة، والمعجزة المنتظرة، والحق المبين! وما لم تفكر الأمة في الخلاص من اليهود الفتاكين، فإن

اليهود وأعوانهم سيجعلون من المستحيل المأمول ـ للأمة ـ حياة لهم بما في فلسطين من الخير المادي والمعنوي، ومصالح أخرى كالنوع الاستراتيجي، الهيمنة الدولية، وهو أمر واضح ولا يحتاج إلى شاهد!!

هذا الخطر سيداهم الأمة لا بشعورها الساكن، لكن أحسبه سيؤثر ـ والعياذ بالله ـ والأمر هكذا في فكرها الاجتماعي، وعلمها اليقيني، وإيمانها العميق المستور، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وذلك ما لم تتدارك القضية كما هي مطلوبة!! يا أمة الإسلام أفيقي!! ويا فكرها استطلع المحجوب!!

فقد وقع الوهن، وهو حب الدنيا، وكراهية الموت!! كما ورد في الحديث المعروف. وما على العقلاء إلا أن يأخذوا حذرهم من ذلك، وما على المفكرين من سبيل إلا إذا أدركوا المأمول والمراد الإسلامي المرغوب!

إننا نريد رجوع الكرامة.. وتقوية العزم على الإيمان بالقضية على محملها المسلم، وملمحها المؤمن!! نريد عدالة السماء وصبغة الله التي ليس لها مثيل ألا وهي الفطرة.. فطرة الله.. وناموسها الإلّهي، الرباني، التي تقضي بالحق في كل عصر وفي كل مصر!! نريد العزة وإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وإن أُرِدْ إلا الإصلاح ما استطعت!!

فمتى يفيق الفكر الأساسي، والذهن الأصيل، والإدراك الواعي، والفطنة اللماحة، والوعي الإسلامي؟؟ متى ننهي الموضوع السهل الممتنع، بالمعنى الفكري لا بالمعنى الأدبي الهلامي؟! متى نكسب قضية الأمة في فلسطين.. في قدسنا في أرض النبيين والمرسلين؟؟ متى تُشدّ الرحال إلى ثالث المسجدين؟؟ ألم يقل النبي ﷺ: «لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد» أو كما قال عليه الصلاة وأتم التسليم ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾.

# سيد قطب

سيد قطب، هذا المناضل من أجل إعلاء كلمة الله، وهذا المفكر الجهبذ الصادح بالحق، وهذا الإمام في الدعوة والأدب والمجتمع، وهذا المفسر للقرآن والحديث والفكر الإسلامي، والفقه والشريعة والأدب العربي والتراث الديني، هذا المسلم العربي الشهيد، هلاّ أذكره للقراء بسطر مكتوب وقلم مرسوم وفكرة صائبة.

إنه شهيد القرن الماضي مع أستاذه وإمامه حسن البنّا، ومع الهضيبي وعبدالقادر عودة وعمر التلمساني وآخرين من مفكري الإخوان الذين يشكلون الدعاة في أوج الحركة السياسية في مصر والعالم العربي.. سياسة «القومية» و«الاشتراكية» وفنون أخرى في الحياة الحديثة العربية المعاصرة. هذا السيد الذي كتب علال الفاسي في يوم الخامس من حزيران ١٩٦٧ قائلاً: «كيف تنتصر أمة في حرب يقودها قاتل سيد قطب».

رحم الله سيدًا وعلالاً فقد كانا فرسي رهان في الدعوة والفكر والاجتماع. أما سيد فهو الداعية إلى فهم القرآن والعودة إليه في كل حالة وفكرة ونسمة في حياة الأمة، منظماً المجتمع، راعياً للأمة بما

حكم الله في دستورها، وكان القطب يقول في هذا الصدد:

«خذوا الإسلام جملة أو دعوه».

«المستقبل لهذا الدين».

«الإسلام هو دين السلام».

وسوى هذه الأفكار الإيمانية، والكلمات الشرعية، والآراء الدينية، والتوجه الشامل لهذا الدين الإسلامي العظيم في الحياة الإنسانية عموماً.

وقد كان كتابه «في ظلال القرآن» كتاباً موسوعي الفهم والفقه والأدب والفكر. ومنذ تلقى موهبة الأدب واللغة والعلم فإنه هو، «سيد قطب»، الإنسان الأديب والداعية، والإخواني، لا كما يقال: «بدأ أديباً وانتهى داعية» لأن مثل هذا القول يقوض حياته من الميلاد إلى الاستشهاد، بل إن سيداً هو السيد الكلي بصفة عامة.

وقد كتب عنه الكثير من قبل الراضين والرافضين لفكره ودعوته وفقهه وعلمه. لكن يبقى سيدٌ هذا الإنسان العظيم والشهيد الحق والإيماني المسلم والأديب الكبير والناقد الصريح والفنان الصادح بالمعرفة.. معرفة الحق العلي. وباختصار سيد قطب هو أعظم مفكري القرن العشرين، ومن أوائل شهدائه مهما كان.

# حياتنا بين ماضٍ وحاضر

المجتمع في حياته المعاصرة تتخلل شرائح من أفراده سلوكيات خارج ما كان عليه من التطبيق الدقيق للعادات والتقاليد المحمودة. خذ مثلاً على ذلك الأسلوب المنظم الجيد المفقود في التخاطب العام الذي يتحلى بالأدبيات الشعبية والمجاملة البلدية والأمثلة الاجتماعية. إن كثيراً من أفراد المجتمع قد فقدوا هذا الأسلوب! وهاك مثلاً ثانياً: غياب عنصر المفاجآت في الحياة الأسرية بين أفراد الأسرة كمداخل للمعاملة اليومية والسلوك الحياتي العام التي تدخل السرور على نفس الأخ أو الأخت أو على الأب والأم أو على الجيران فيما جرت العادة عليه في الزمن القديم العتيق الراقي! لا في مجتمعنا فقط بل في المجتمعات العربية الأخرى من حولنا أيضاً!

تلك الحياة الاجتماعية دخلها الكثير من التغيرات ابتلعت كثيراً من العادات والتقاليد الحسنة الرائعة! ولا بد من القول إن استعادتها بالتدرج اليسير والتكرار للمرات في المحاولة ممكنة بعد وقفة مع الذات من كل من الأب والأم والأخ والأخت والابن والبنت وتلقينهم ذلك الأسلوب المتعارف عليه سابقاً، وتطبيقه بناءً على

الأدب والذوق والتعلم وحسن الاحتكاك اليومي بين أفراد الأسرة الواحدة والتعامل الجيد مع الآخرين من أفراد المجتمع العام في اللقاء والمعاملات العامة من مادية وإنسانية وعلاقات حسن الجوار والمؤاخاة. هذا جانب، وهناك جانب آخر استجد في حياتنا الاجتماعية إذ دخلت عناصر من الوسائل كالاتصالات بالهاتف الجوال، هذا العنصر الذي استشرى وسرى في الحياة.. حياتنا بشكل جنوني أخاذ وفعل أو يكاد يفعل - بل حصل ذلك - من الأفاعيل المملة والمعطلة للطاقات.. طاقات الشباب والأفراد عموماً، حتى غدا هذا العنصر أمراً يهدد المعقولية في حياتنا الأسرية والاجتماعية!!

وعنصر آخر يكاد يستفحل هو (المادة)، فالمعاينة المادية في شرائح من الأفراد في التعامل الذي يصحب ظرفاً غير معلّل لاتخاذه سلوكاً في غير محله من الحياة اليومية، كالطعام الكثير والنقود الطامعة، والتسلية المفرطة وعدم اتخاذ سلوكيات جديرة بالاهتمام مثل تصفية التفكير بالوسائل المعنوية والأدبية والاكتشاف المفيد للفرد الواحد منا كمعلومة أو فكرة عامة تفيد الفرد أو المجتمع، أو معاملة من ورائها خير للأخ أو الجار، أو للمعرفة لأي إنسان أو على شكل تعاون اجتماعي عام أو أسري خاص في سبيل استعادة العادات والتقاليد العريقة لمجتمعنا بصفة خاصة، في الحياة العامة. إن وقفات مع النفس تشكّل أفكاراً مشجعة على الحيوية الاجتماعية والأسرية في حياتنا اليومية.

وإن قيماً وصفات حميدة مثل البر والمؤاخاة وحسن الجوار أمور غاية في المنفعة لإحياء مجتمع بأفراده وأسره وجماعاته في الحياة الحديثة والمعاصرة. فقط لو تأملنا وفكرنا!

إن هذا أمر مهم جداً في الحياة.. حياتنا الاجتماعية العامة، فإن اللجوء إلى التماسك ـ بهذا التصور الجيد ـ في استعادة للجوانب الخيرة والتقاليد الطيبة وإدخال ذلك كله في حياتنا الأسرية والاجتماعية العامة، أمر يجعل للحياة مذاقاً جميلاً ونكهة طيبة، يلمسان الشعور الإنساني بالجيد من المعاني والرائع من الأحاسيس الفطرية والجمال النفساني. وأنا زعيم لو استطعنا تحقيق ذلك فسيختفي كثير من المشكلات والهموم وكثير من الملل والسآمة، بل وكثير من الأمراض العصرية التي حلت بالكثير منا، في شيء نحسبه طبيعياً، ولكن السبب ـ فيما أحسب ـ هو لجوؤنا إلى غمرة من الحياة المادية لا مسوّغ لكثير منها، فقط ينبغي إصلاح التعامل وإحياء ما اعتدنا عليه من المحامد والقيم والشيم والتقاليد وإرساء تعليم أسري على ذلك كمعرفة للأجيال الجديدة بتلك القيم والشيم وتذكير لأنفسنا بتلك المعاني وإثراء الكيان المجتمعي والأسري بها في حياة لا تنقصها المادة، ولكن حاجة حياتنا اليوم بإحيائها بفكرة خلاقة هي ذواتنا المشرئبة إلى حياة تشبه حياة الآباء والأمهات.. حياة الناس الطيّبين الذين مضوا، وكم ترك الأول للآخر، وإن أمامنا تراثهم وآثارهم من المعاني والأفكار والحكم والأدب والمعرفة والقيم كمآثر طيبة وإرث جميل يجعل للحياة معنى جديداً وطابعاً رشيداً وأسلوباً جيداً. فهلاّ تدبرنا؟!

# كيف نواجه افتئات الإعلام على الأمة؟

إن المنطق المستعمل في الإعلام الدولي عجيب جداً، خاصة في الأحداث والحروب، فمن الذي يحدث على أرض فلسطين يتضح الانحياز الغربي إلى إسرائيل، مع العلم التام بانتهاك إسرائيل للقوانين والأعراف الإنسانية العامة، فما بالك بالسياسات الصهيونية التي تنتهجها إسرائيل والدافع لها هو الغرب.. وسكوته وغضه الطرف عن الحق المشروع للشعب الفلسطيني، في حين يعتبر شارون رجل سلام ومحمد دحلان هو رجل الأمن المناسب في التشكيلة الجديدة لحكومة أبي مازن، الأمر الذي دعا إلى نزع سلاح المقاومة الفلسطينية من جميع الفصائل بما فيها حماس والجهاد، علماً بأن الحرب الشارونية على فلسطين مستمرة وعشرات ومئات آلاف القتلى والمصابين ومدن بكاملها تدمر، إضافة إلى الإغلاق والحصار ومنع التجول!؟

وما دفع الإعلام الغربي إلى ذلك الأسلوب العجيب إلاّ المسؤولون مثل باول ورامسفيلد، الأمر الذي جعل هذا الإعلام يعبر عن السيادة الغربية وسيطرتها ويصور ذلك للشعوب بدس السم في الدسم..

إن أمثال مصطلح «خارطة الطريق» و«تحرير العراق من الدكتاتورية» و«الحفاظ على ثروات العراق البترولية»، وما أشبه ذلك من الشعارات المصطلحية على وسائل الإعلام الغربية، ما هو إلاّ تذكير بعهود الاستعمار الغربي القديم على دول العالم وبالذات العالم الثالث.

بل إن النفوذ الغربي هو الضوء الأخضر للإعلام العام بأن يردد «ما أشبه الليلة بالبارحة»! والغريب الأغرب أن يتخذ الإعلام الشرقي مصادر الغرب الإعلامي على محتويات ما يحدث في عالمنا الثالث من خلال نشرات الأخبار والتحليلات السياسية عن التحركات الدبلوماسية في المنطقة. على أقل تقدير أدبي يجب أن لا نفرط إعلامياً وأن يجعل الأسلوب الإعلامي ورقة عملية في التعبير عن ردود الفعل الحدثي سواء في فلسطين أو في العراق، لا أن يكون التعبير مسألة مسلم بها فكرياً ودبلوماسياً وإعلامياً! وهناك ثغرة وهي عدم التحدث بشيء من الاتصال بين الأطراف المعنية حول الأحداث كما حدث للشيشان وسواها..

ومن المؤسف عدم الاجتهاد في تكوين فكر إعلامي للأمة يتصل بالأحداث الجارية ومجريات الشؤون العامة فيما يجتهد الغربيون في ممارسة الحديث من أجل الحدث وتلبيس الحدث بالإعلام الحديث حتى يتحكم الخير والتحليل في أبرز أسلوب إعلامي وتغطية صحافية كاملة. والواقع - من أجل ذلك - يتجه للمزايدة من قبلهم على مقدرات الشعوب المغلوبة، وإحكام التفكير بتصوير الأسود أبيض، والباطل فضيلة، والافتئات حقاً. إن على العالمين ببواطن الأمور في الساحة المعنوية والفكرية والإعلامية السعي الحثيث لمعاجلة قضايا الأمة العامة بواقعية لا إفراط فيها وجعل المتلقي المسلم يجد الفكرة

الحدثية بمنطق إعلامي مستقل، وروح خاصة بالانتماء وصدق الولاء للدين الإسلامي وفكر الأمة العام وواقعية مجتمعها وأناسها. وهذا يقتضي تعريف المنشئين للأخبار وسواها من التغطيات الإعلامية والصحافية بالعلم النافع والفكر الصافي والثقافة الواعية للماضي والحاضر واستشراف المستقبل التاريخي لأمتنا..

وأعني بهذا القول تقوية الإعلامي فكراً وطموحاً وانتماءً وديناً. ففكر الأمة اليوم في حاجات ماسة إلى الإرشاد الواقعي فيما يدور في جميع الأرجاء الدولية وبالذات في صراعنا مع الأعداء مع الرد والتصوير والتوعية لحقيقة هذا الصراع، لم؟ ومتى؟ وكيف؟ ونعم، أو لا!! إن المسؤولية الإعلامية باهظة الحمل المعنوي والفكري والأدبي. ولا شك أن الساحة الإعلامية لدينا تبشر بتحمل هذه المسؤولية بكل قوة ومضاء، لأن الموضوع من الجهاد القلمي واللساني والمطلوب كما فعل حسان وابن رواحة وكعب، شعراء رسولنا عليه الصلاة والسلام.

والجهاد هذا لا يكفي بالنمطية بل بإبداع إعلامي حقيقي وواقعي، يقبله الفكر الإنساني العام والوعي الاجتماعي وأن تتحد الصفوف في وسائل الإعلام أمام القوة الإعلامية الغربية الشرسة وتغطيتها لوكالات الأخبار وكأننا جزء من إعلامهم. فهذا لا يقع ولا ينبغي، والأحق والأولى أن تتوحد الجهود الرامية إلى تخصيص الإعلام من حيث الخصوصية لهذه الأمة معتقداً وفكراً وسلوكاً واجتماعاً. إن الواعية أو الباصرة الإعلامية للأحداث الراهنة في المنطقة الإسلامية العامة تدعو إلى إعلام وثقافة وعلم ودراية وفكر يتفق وواقعية لا الأحداث فحسب، بل لا بد من متابعة للفكر السياسي الدولي والتخطيط المستمر الذي يبدعه ويرسمه على عالمنا الثالث، حتى

تصبح وسائل الإعلام معبرة بحق عن الجهود الخاصة التي يبذلها المسؤولون كل في اختصاصه. وعندها تتوحد الكتل وتجري الأحداث في مستوى قوي يعود لصالح هذه الأمة بحيث يكون الدفع قوياً في دائرة العمل العام سياسياً ودبلوماسياً وإعلامياً ودينياً ومعنوياً.. لأن الإعلام وسيلة مهمة للناس، وهو تعبير ذو وقع مقبول في الصدور وفي السمع والبصيرة، بل إنه من قوة أسره يخلب الألباب والعقول ويشد على الذات والنفوس، الشيء الذي جعله وسيلة دعائية وأدبية وعقدية وتصويرية وفكرية أيضاً.. وهو ذو ثقل مشدود وعمل مبذول وجهد مفعول وأمل معلق في المخيلة الإنسانية.

# نحو مستقبل مأمول

في ما بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، تغيّرت ملامح الإنسانية في كل أنحاء العالم تقريباً، حيث استجدت أمور فعلية الكلفة وظواهر أخرى على الساحة العامة، تعكس ذلك الثقل المادي للناس في حياتهم اليومية، حتى تكاد تفرق المجموع وتشتت الأفراد، بل إن ذلك الثقل أصبح قاصماً للظهر عند الكثيرين معنوياً وإنسانياً. وظاهرة ـ كهذه ـ ليست غريبة، بعدما دار الفلك دورته، في سماء الإنسانية بسرعة لماحة، وفهماً سريعاً للأفكار، عند الصغار وعند الكبار، وعملاً منتجاً مثل البرق ـ ما شاء الله ـ بغض النظر عن جودته، أو قيمته، أو فائدته أحياناً!

فالتحديث المدني وأسلوب الحياة التقني في دنيا الناس، وعالمهم الرحيب، أصبح أمراً واقعياً! وغدت الحياة الإنسانية حياة المعاصرة للأحداث والتطورات البشرية، ومتابعة الجديد في كل شيء تقريباً. ويبدو أن هناك ظاهرة لا يتفطن لها كثيرٌ من الناس، حيث جذبتنا تلك المعاصرة الجديدة وأسلوب التحديث في حياتنا التي تخلب الألباب، وتحير الحليم!! ويكاد الواحد منا ينسى نفسه استشعاراً

ويضيع حقه إجباراً، ويفرض رأيه إصراراً، مع فقدان الصواب أحياناً! انحيازاً منا للماديات والاهتمام بها كاملاً، وذلك بوجود ادعاءات أن العالم يعيش «العولمة» في كل شيء!!!

على أن ذلك لا ينسحب على الكل، فالحياة بخير، والناس معادن. إن ما أخشاه الغفلة المعنوية: يا لطيف يا الله. فهي باب الوهن الذي يعني في الحديث النبوي الشريف: «حب الدنيا، وكراهية الموت».

وحذار من الغفلة المعنوية، الأدبية، الذاتية، هذه، كيلا نفقد هويتنا الإنسانية والاجتماعية والدينية كذلك.

فهي تحول بالفؤاد عن الانتباه، وتمنع البصيرة عن المعرفة، وترغب المرء لنشدان المزيد من «الماديات»، والخوض في ميادينها المتعددة الأنواع والألوان.

إن قضايا الأمة مدعاة للتفكر في مطوياتها، والمشاركة السوية في حل مشكلاتها التي - حتماً - سيدرك تاريخها شباب اليوم «رجال الغد»، وواقعنا - كأمة - يندي الجبين لعدم إدراك التصور العملي وطرحه على الساحة العامة في محاولة جادة لحلها وتجاوزها إلى المستقبل المأمول الذي ينتظر أولئك الشباب، والعمل بالتمهيد من خلال ذلك التصور العملي المطلوب، بكل الطاقات الفكرية والاقتصادية والعلمية، لتلك المستجدات، وحلول إيجابية لتلك المشكلات. هذا على المستوى العام، أما عن خصوصية الملامح الإنسانية فغيرنا يتحفز جيداً نحو مداخيله الاقتصادية، وعوائده العملية، ولنا بهم علاقة!

ومع ذلك - لكثرة الفرص السانحة لهم - فإن كثيراً منا، لا يتحصلون على غاياتهم، وهذا المقصود بالخصوصية! إننا أمة ذات

جوهر أصيل في كل شيء ومن نواحٍ متعددة نمتلك الكثير من ثروات المادة والإيمان والقيم والفكر، لكن المطلوب حيازتنا للتنظيم العملي، والحل المواتي للحياة.. حياة أطفالنا وشبابنا ومستقبلهم المأمول الآتي.. فغيرنا يستعمل التفكير فيحصلون على مطالبهم بفعل الفكر والعمل والتنظيم. فالرؤية الصافية للحياة بتأمل وتفكر هي التي تصيب الهدف، وهي التي تعطي إشارة البدء للعمل وتعطي الاستمرارية فيه، ونتائجه تكون مؤكدة تحت الخطى باستمرار على ديمومة التفعيل وتنشيط الإنتاج بالعلم والنظم والعزم.

# التفسير المادي

يظل الإنسان الفرد والإنسان الاجتماعي، سواء أعاش مع نفسه أم مع أفراد آخرين، أسير المادة، ذلك لأنها إكسير الحياة كما يقولون!

ولكنني أمهلكم وقتاً للتأمل والتفكر في مسألة التفسير المادي في المجتمع فأقول لم التسرع في الحكم على إنسان أو مجتمع بأكمله أو أمة من الأمم في أي تصرف بأنه نوعي أو جنسي على أقل شعور أو إحساس صادر من هذا أو ذاك، الشيء الذي يعطي انطباعاً خاطئاً في هذا الحكم، وذلك بسبب الحكم المادي أو التفسير المادي للأشياء. فقد يكون أمراً عفوياً يصدر من صاحبه أو بحركة بريئة نحكم على هذا وذاك بالتقريع المعنوي الذي يعد أشدّ من التقريع المادي أو الحركي أو شيئاً من هذا أو ذاك؟!

إن حسن الظن هو المطلوب هنا، نعم الظن الحسن يبقى وسيلة شعورية مريحة لصاحبه وللآخرين: أولاً لأنه يبرئ ذمته به وثانياً لأن المظنون به حسن في ما بدر منه فيكون مرآة لكل واحد يرى من خلالها الآخر!!

كما يحسن في هذا الموقف أيضاً التفكير السليم في عيب اتهام الآخر! لأن العقل نعمة ربانية أصفاها للبشر خالق الناس والحياة والأكوان، فينبغي التدبر قبل الحكم أو قبل التفسير لتصرفات الناس، بالتخطئة أو التسقيط لجهد الآخرين سواء أكانوا أفراداً أم جماعات، الأمر الذي يخطئ المفسر في ما حكم به الآخرون من هؤلاء وأولئك فتنبعث من ذاته الآلام بدل الأحلام أو الآمال بلفظ أدق! وما يضر إلاّ هو هذا المفسر الجهول والظان بالله وبالناس ظن السوء - والعياذ بالله العظيم - نعم إنه يضر ذاته ونفسه من الطائل الوبيل الذي استقر في كيانه، وحمله على كتفيه مجازفة ثقيلة ومغامرة شريرة. إن الناس بحاجة ماسة إلى الرحمة والمرحمة من جراء الويلات النفسية، والمجازفات اللاأخلاقية، والممارسات الشنيعة التي يقوم بعضهم بها ويظنون أن ذلك تصرف شجاع أو رجولي، وهو الأمر المضاد للشجاعة بل المتهور السيّئ الخُلق هو الذي يفقد الرجولة والشجاعة بسبب ما بيناه في هذه الكلمة! فالله أيا الظان بالسوء والمتّهم للآخرين، والمفسر على تصرفاتهم التفسير المادي المتسرع الفاشل بل القاتل - معنوياً قبل أن يكون مادياً - كذاته ونفسه..!! بل لشعوره وحسه وبدنه وفكره وعقلانيته!! أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

**﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾** (الحجرات: ١٢).

فعلي وعليكم معشر القراء باجتناب الكثير من الظنون لأن ذلك إثم كما صرح به الحق تبارك وتعالى.

# أحمد صدقي الدجاني.. والمرحلة

فلسطين القضية والمسيرة النضالية بالفكر والدبلوماسية والعمل، كل ذلك في مرحلة طويلة قضاها المفكر الفلسطيني الدكتور والأستاذ والدبلوماسي العظيم أحمد صدقي الدجاني.

رحل إلى الآخرة مثل شهداء المصير الفلسطيني المأسوف عليهم، بعد أن قدّم ما لديه من أدوار عملية الحركة للقدس والرباط، ألا وهو حائط البراق المقدس، والإنسان الفلسطيني المؤمن، لا بالحديث السردي ولكن بالعمل المناضل والفكر العامل والعلم السياسي المحنك.

هو سياسي الفكرة ودبلوماسي الحركة، ولكن ليست غايته المنصب الرفيع، والجاه المتعالي، فقضيته الإيمان بالنضال والجهاد المعنوي في سبيل تحرير فلسطين السليبة، كتب كثيراً في هذا السعي المثابر، وكأني به المراد من قول الشاعر الدبلوماسي المسلم عمر بهاء الدين الأميري عندما رفع رأسه شامخاً:

نزعوا السفارة من يدي    فمضيت مرفوع الجبين
لم يرتفع شأني بها    ورفعتها في الرافعين

هما يتشابهان في المسعى الفكري والنضال البطولي بالإيمان وتقرير المصير، والكفاح من أجل الشرف.. شرف فلسطين والشام عموماً، بل شرف العرب والمسلمين، حتى يحسم المصير بالمسيرة الجهادية الفاعلة، والحركة.. حركة النضال الباسل، والتفكير السليم من أجل القضية.. ترجل الفارس المغوار، وارتفع ذكره من أجل القدس، المسرى والمحراب المعنوي العظيم.

لقد رحل.. ورحل من قبله يحيى الوزير، فيصل الحسيني، إسماعيل، محمد الدرة، والآلاف المؤلفة من المجاهدين الفلسطينيين البواسل.

وهكذا تمضي المسيرة الجهادية فكراً ويداً وكفاحاً، في سبيل الفكرة المقدسة في فلسطيننا حتى انجلاء وانبلاج الفجر.. فجر القدس النَدِي الباسم الباهي والباسل والمنصور بإذن الله.

إنها مرحلة من أهم المراحل التي مر بها المفكر الفلسطيني والاستشهادي العادي، والكفاح المادي المعنوي والقضية، قضية أمة القدس ورجالاتها منذ الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فصلاح الدين وعز الدين القسام فأحمد ياسين إلى يوم النصر بعد صبر طويل.

فهل نحقق نحن ـ جميعاً ـ أمنية هي أهم أمنيات هذه الأمة.. خير أمة أُخرجت للناس؟

اللهم آمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

# تكامل دين الإسلام

قد يحسب بعض الناس أن الإسلام دين عقيدة ومواعظ ونصائح فحسب، وهذا فهم محدود قد ضيَّق واسعاً كما يُقال في الأمثال!!

فدين الإسلام تضمّن تشريعاً أصيلاً كاملاً لا محدوداً بقواعد ومبادئ معدودة، ولا بقيم ومفاهيم محدودة، بل إنه وضع منهاجاً متكاملاً. وفي القرآن والسنة النبوية وفي الفقه وضع الإسلام منهجه الكامل هذا. فهو قواعد وأصول ونُظم ومبادئ وقيم للأحكام في حياة المسلمين، ذكوراً وإناثاً، كباراً وصغاراً، رؤساء ومرؤوسين.

ففي حياة المسلمين أمور لا بد من تطبيق هذه الأحكام عليها، فيها يحلون الحلال وفيها يحرمون الحرام، وفي كل حياتهم فرضت الفرائض، وسُنَّت السنن، ووضع العدل، وتبينت المنهيات، وحُسِّنت المعروفات، واجتنبت الكبائر، ووضح الطريق ألا وهو الصراط المستقيم.

بضوء هذا المنهاج انتشر الإسلام وطبقت الأحكام إذ قام الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بذلك خير قيام وتبعه الصحابة والأتباع الكرام.

هذا المنهاج الموضوعي شكل فكر المسلمين، وثقافتهم، ومعارفهم العلمية والفقهية والأسلوبية في الدعوة، والحرص والأمانة على الحق الإسلامي لكل إنسان في الحياة، وجعل ملة الإسلام على المحجة البيضاء، لا إكراه فيها، فهدى الله هو الهدى، وشرع النبوة هو شرع الله الحكيم الذي شمل كل ما في الحياة الدنيا من روابط وأحكام ومبادئ قيمة تضيء الطريق إلى الحياة الأخرى.

وهذا المفهوم الموضوعي لدستور إلّهي كامل، فيه صلاح الإنسانية والبشرية على المدى الواسع البعيد ماضياً وحاضراً ومستقبلاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لأنه شرع الخالق لخلقه، والحاكم لمحكوميه، وشرع المالك للمملوكين، ولهذه الأسباب مجتمعة ناسب هذا الإسلام طبيعة الناس وطبائعهم، وواءم فطرهم، ونواميسهم ورغباتهم وحوائجهم وآدابهم وقيمهم وأخلاقهم، لأنه دين الإنسانية إلى يوم البعث والنشور وخاتم الأديان.

# هل تشهد الإنسانية وضعاً جديداً؟

بحسب الوقائع الحدثية يشهد العالم حيوية في الاتجاه العام، وإن مشهد الأحداث يوحي بتجدد السياسات الدولية، وبالذات في ما يتعلق منها بالتخلص من أسلحة الدمار الشامل كما يسميه الغربيون. فمن الوضع العراقي الحالي المؤشر إلى سيطرة قوات التحالف برئاسة الولايات المتحدة الأميركية، والهيمنة الاسراتيجية واحتواء سلاح الدمار الشامل - كما تدعي وجوده أميركا على الأراضي العراقية - إلى تخلص ليبيا من هذه الأسلحة من على أراضيها أيضاً، إلى موافقة إيران على التفتيش الدولي على منشآتها النووية، وإبداء كوريا الشمالية موافقتها لجزء من الجهاز النووي بالتفتيش عليه لقاء موافقة واشنطن على عدم الاعتداء عليها.. كل ذلك ألا يشكل نقطة تفاؤل دولي عام على مشهد جديد من الحياة السياسية سيشهده العالم عما قريب؟!

ولم أقرأ أو أسمع شيئاً من تحليلات المحللين السياسيين، أو كتابة لكاتب من الكتّاب الإعلاميين، يشير إلى شيء من ذلك على الإطلاق، وليس ذلك بعجيب، والزعماء العالميون لم ينطق أحد

منهم ببنت شفة حول هذا الموضوع إطلاقاً!! الأمر الذي يستدعي التساؤل: هل ستشهد الإنسانية وضعاً عالمياً جديداً؟ وهل ملامحها العامة ستتجلى بلون جديد، أو تشهد صورتها الدولية شكلاً آخر لم نكن نعهده من قبل؟! إن ذلك ممكن لو تحلى العالم بحلية الوحدة والاتحاد والحب والإنصاف والبعد عن إراقة الدم واحترام الإنسان لأخيه!! وهذا أمير الشعراء أحمد شوقي يقول في همزيته المشهورة:

ما ضرَّ لو جعلوا العلاقة في غد　　بين الشعوب مودة وإخاء

ألم يقولوا إن العالم اليوم غدا كقرية صغيرة؟ كناية عن سرعة المواصلات والاتصالات ذات الشبكة الموحدة كهربائياً وتقنياً وإلكترونياً، حيث قرب البعيد واتصل بعيده بقريبه. بعد ذلك يظل السؤال قائماً:

هل ستشهد الإنسانية وضعاً عالمياً مفعماً بالحب والوئام؟؟؟ في ظل الوحدة والسلام؟؟

لا سيما بعد قرار أميركي لقواته بإحلال قوات عراقية في مدينة الفلوجة! واتفاق هدنة بين الجانبين بين وقت وآخر.

هذه قد لا تعدو خواطر ليس إلاّ مجرّد خواطر يلوّنها المشهد العالمي بالتفاؤل والآمال والأماني!

ولكن إن نحن عدنا إلى التاريخ وجدنا المقولة المشهورة لابن خلدون: «إن الإنسان بطبعه مدني».

فهو يرفض الحرب وإراقة الدم، ويرنو ويتطلع إلى السلام دوماً، وباستمرار، الأمر الذي يستدعي وضعاً جديداً قد تشهده الإنسانية عما قريب واليوم أكثر من أي وقت مضى!!

# بين الكريم واللئيم

يقول التاريخ «تاريخنا» إن الأصمعي لقي أعرابياً فسأله: يا أخا العرب، ما الداء الذي ليس له دواء والجرح الذي لا يندمل؟

فأجابه الأعرابي: «حاجة الكريم إلى اللئيم»!!..

أقول: إن الأعرابي في إجابته عن سؤال الراوية الأديب عبد الملك ابن قريب المعروف بـ«الأصمعي» يستهدف أموراً ومعاني مختلفة! من ذلك:

- بروز ظاهرة الهيمنة الإدارية في العصر الذهبي للدولة العباسية لدى كثير من رجالات هذه الدولة على الأموال التي بأيديهم.

وسواء أأدرك الأعرابي ذلك أم لم يدركه فإن الأصمعي أراد من الأعرابي تحريك أمر في نفسه، لم يُشْف الغليل منه إلا بحكمة توقعها من ذلك الأعرابي: وهو الأمر المستكن في البصيرة والفؤاد والفكر.

- معنى آخر من معاني هذه الإجابة الشافية، يتضح أن في الحياة أناساً جهلة، يحسبون أن المادة هي الحل لكل شيء، وإذا كان ذلك ظناً منهم فإن ثمة مواقف تمر بالكرام لا تخضعهم للمغريات المادية

الدنيَّة مهما كان الأمر والحال، لأنهم لا يرضون الذل، ولقد قالها عنترة قديماً:

لا تسقني ماء الحياة بذلةٍ    بل فاسقني بالعز ماء الحنظل

* * *

وهذا ما عناه التابعي الجليل عروة بن الزبير بن العوام ولكن بشعور المؤمن الكامل الإيمان، عندما قال:

«ربَّ كلمة ذلٍ احتملتها أعزَّتني زمناً طويلاً»!!!

* * *

واليوم في حياة العصر، عصر الحضارة.. الحضارة المادية، يوجد أفراد شاذون شعورياً وإنسانياً، أعمتهم البيروقراطية المالية والإدارية، يحسبون أن المال هو العصا التي يلوحون بها في كل شيء، بحق وبباطل، على المستضعفين، ويظنون أنه السلاح الوحيد في الحياة! وهم بذلك واهمون بلا شك، إذ إنهم لا يعلمون أن الأموال في الأصل موقوفة على الأعمال، أرأيت عمر بن الخطاب عندما دوَّن الدواوين في عهده بالخلافة، ورتب الأموال المستحقة لكل فردٍ من رعيته، رتبهم يا أخي على الأسبقية في اتباع العمل الإسلامي من تصديق بالقرآن وطاعة للرسول عليه السلام وجهاد في سبيله، وذلك في عصر صدر الإسلام، وهو ما يصرف به اليوم على الأعمال بصفة عامة، رسمية أو غير رسمية، فتأمل أخي القارئ!

# تأصيل الحياة اليومية (1)

يكاد أفراد مجتمعنا اليومي في حياتهم أن يفقدوا التأصيل في المحادثة واحتكاك السلوك في الحياة اليومية..

ولعل عصر السرعة وزحام الناس وكثرة السكان تشكل سبباً جوهرياً في هذه الظاهرة، لكن ينبغي لنا التأمل فيها.. أي في هذه الظاهرة، وأن نعد لأنفسنا متنفساً لاستعادة الأصالة في سلوكنا اليومي سواء في الكلام بين بعضنا البعض أو حين اللقاء في المنازل والأعمال، كي نعيد إلى أذهاننا وذواتنا وأنفسنا التأصيل بلين القول وحسن التفكير وجميل المعاملة وروعة التصرف، جرياً على التقاليد الأخلاقية التي نشأنا عليها، ومحاولة منا لأجيالنا الصاعدة على التمسك بها، وهناك مجالات جمة في هذا الصدد في العلاقات العامة بالذات: مع الأقرباء، مع الجيران، مع المعارف، مع الأصدقاء، ومع الزملاء، وهكذا دواليك.. ومن دواعي ذلك الحكمة والعلم، والتعامل، والتفكير السليم، والتصرف المناسب، وإسداء المعروف، والمصابرة، والملاطفة، والإحسان في القول والفعل، والعطاء والإكرام، والإيثار، والبر والأخلاق، والأدب الحسن، وسوى ذلك مما نحتاج إليه في الحياة اليومية والسلوك اليومي، فهذه قيم عملية،

وخصال حميدة، وأعراف شريفة، وهي في متناول الفكر لو تأملنا في ما تحمل من أفكار ومعلومات، لأنها تفيد الفرد والمجموع في الحياة العامة..

وهنا موقف مهم جداً ألا وهو الصبر والمداراة على تفعيلها، تفعيل القيم المذكورة بدءاً بالبيت، فالمدرسة، فالمعمل إلخ.. إننا في حاجة ماسة إلى تلقينها أنفسنا وذواتنا ثم أبنائنا وبناتنا ونسائنا عامة في الحل والترحال، في مجامع الحياة وملتقياتها، في المنازل، في الديار، في المساجد، في المكاتب، في المصانع والمعامل، والأسواق والمراكز التجارية.

ففي هذه الأمكنة والمجالات الواسعة فرص لتفعيل القيم والأفكار والمعاني، وحتى المعلومات والمعارف والدراية، لأنها تؤثر بالتالي في السلوك اليومي لحياتنا، فيحل التسامح والنفع العام، وينقشع الغلاء والأثرة والأنانية والظلم، ويحل محلها العدل والرحمة والألفة والتوادد، الشيء الذي يدفعه ذلك في أفكارنا وسلوكنا مع العبادات وشعائرها دفعاً قوياً لتأصيل سلوك الحياة اليومية في مختلف المجالات العامة والخاصة، والأعمال والتعلم والتثقُّف والمعاملات والأفعال والتصنيع والتسويق والتجارة والمحاسبة. وثق تماماً ـ أخي القارئ ـ أن هذه الأمور خليقة بأن توفقنا أفراداً وجماعات في حياتنا بصفة عامة، وأن تجعل لهذه الحياة معنى حيوياً في تفكيرنا وعلمنا وعملنا اليومي وسلوكنا الحياتي، فقط ينبغي علينا المصابرة وتغليب التأمل على السرعة والاندفاع، والحلم والحكمة على التسرع في الأحكام والتصرف! إنه أمر صغير جداً في التصور، وعظيم جداً لو اتخذناه سبيلاً وطريقاً في حياتنا اليومية، فهو جميل في ذواتنا، عظيم في أفعالنا، مفرح مسر لجميع أقاربنا ومعارفنا

وأصدقائنا، بل لجميع الأفراد والجماعات في الزمان والمكان، وحين التعامل بالذات فكل الناس، كلنا محتاجون إليه.. إلى تفعيله والعمل به والإصرار عليه، حتى ننتصر على سلبياتنا الحاضرة، وأنانياتنا الدخيلة، وتصرفاتنا الخشنة، ولهاثنا الدائم، لأننا افتقدنا كثيراً من الحكمة والرصانة والعلم الصحيح والتفكير بصفاء، والتعقل برزانة.. فلنتأمل بدقة ولنحكم المنطق ولنصب في الأفعال والأقوال بالمحاولة مرة ومرتين وبالتؤدة والمصابرة حلماً وحكمة وعلماً ودراية.. فالحياة كفاح وجهاد وعمل منجز وقول صادق صائب، وتأصيلها واجب بالإيمان والقيم والإرادة، فهل نفعلها بالتصميم القوي والإيمان اليقين؟ إذن علينا بقوة الإرادة، والرغبة الأكيدة، والصدق مع الذات، فالنفس راغبة إذا رُغِّبَت، وفاعلة إذا أريد لها من حاملها، وصادقة إذا أخلص صاحبها. وقد ينالنا ـ في سبيل ذلك ـ تعب أو نصب! فلْنُكبِرِ نفوسنا في سبيل حياة يومية ممتعة:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

كما قال الشاعر المتنبي.

لكن بعدها يسجل التاريخ الاجتماعي بأننا مجتمع لا كسواه! وأننا خير أمة أُخرجت للناس بحق.

# تأصيل الحياة اليومية (2)

من تأصيل الحياة اليومية سلوكيات حميدة، وتصرفات، ينبغي على مجتمعنا الكبير الاقتداء بها، خاصة عندما تردنا عن رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو من صحابته والأتباع الكرام..!

من ذلك ما جاء أن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، كان إذا جاء السوق بائع جديد يعرض بضاعته يلاطفه الرسول فيسأله عن ثمن سلعة أو أخرى، فعندما يخبره البائع أنّ ثمنها درهم أو دينار يناوله عليه الصلاة والسلام درهمين أو دينارين تشجيعاً منه للبائع ورفداً منه له..

وإلى وقت قريب كان في سويقة بمكة المكرمة أو شارع «زقاق» الوزير بها إذا بسط أصحاب المحلات، يؤثر الواحد منهم الآخر ليستفتح جاره قبله. فانظر - أخي القارئ - إلى معاملة رسول الله عليه الصلاة والسلام! ثم انظر إلى المثل الآخر!

أليس ذلك من الأصالة في الأدب النبوي؟ فهو القدوة عليه الصلاة والسلام وما تمثّل تجار أم القرى إلاّ من ذلك الأدب الرفيع.. فتأمل..!!

وقد جاء في الخبر أن الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي كان في مجلس الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فأحدث رجل ريحاً، فقال عمر: عزمت على صاحب هذه الريح أن يتوضأ، فقال جرير رضي الله عنه بل اعزم علينا جميعاً يا أمير المؤمنين أن نتوضأ، فقال عمر لجرير: «نعم السيد كنت في الجاهلية ونعم السيد أنت في

الإسلام».. فقاموا وتوضأوا جميعاً..

إنها سيرة من سير الكرام في تأصيل حياتهم اليومية.. والتاريخ الاجتماعي لأمتنا مليء بالسلوكيات الحسنة والإبداع الاجتماعي الجمعي الراشد والتصرف الجميل في المواقف المناسبة، والمواقع الحرجة. من ذلك التاريخ أيضاً أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخليفة الراشد الخامس - كما لقبه بذلك الإمام الشافعي - مر ليلاً بالمسجد ومعه خادمه فوقعت رجله بنائم، فقام هذا النائم وقال للخليفة: أمجنون أنت.. فقال عمر: لا!! فعجب خادمه فقال: يا أمير المؤمنين.. أتقول له لا؟ فقال عمر رضي الله عنه ببساطة شديدة جداً: إنما سألني فأجبته..

فانظر إلى هذا الجواب الموفق الحكيم!! إنه يحمل المعنى العظيم، والقيمة النظرية الفعلية والعملية العلمية..

كان بوسع عمر أن ينهر ذلك الرجل وأن يردَّ بما يشفي غليله..!

ولكن الخليفة العظيم - فعلاً - لم يرد ذلك ولو أراده لقاله وهو القادر!

أليس هو الرجل الأول في الخلافة في عهده؟ أليس هو الآمر الناهي؟! بلى، ولكنه التواضع في جنب الله ومن تواضع لله رفعه..

إنها سلوكيات أصيلة في الحياة اليومية، والاحتكاك الاجتماعي الواقعي في هذه الحياة العامة، التي كم نحن في زمننا بحاجة ماسة جداً إلى فعلها والعمل بها..

لم يكن صائباً من قال: إن تاريخنا لم يكتب بعد! بل الصحيح - أخي القارئ - أن تاريخنا لم يقرأ بعد!! فكم من الذخائر العلمية والعملية في هذا التاريخ العظيم!وكم من المواقف الكبيرة والحكيمة وكم كثيرة هي؟ إن لدينا مصادر علمية ومراجع ثقافية وكتباً أدبية جمة وغفيرة حملت عديداً من أمثال هذه المواقف العظيمة غير المحدودة بكمية أو حساب أو عدد!! فالاطلاع عليها وفيها عمل وتفعيل شريف، وتزود بالعلم

واجب، وتثقيف فاعل، وتهذيب للروح، وتعليم للبصيرة، وتأديب للنفس، وهذا جميعه محل تطبيق عملي للسلوكيات اليومية في حياتنا الفردية والجمعية..

وما جدوى المعرفة إذا لم تطبق في الحياة؟ وما عساها تنفع إذا لم نقم بتفعيلها في دنيانا وسلوكنا الواقعي اليومي؟ فالعلم نور حقاً لا قول فحسب، وهو سلاح معنوي وأدبي كبير، وهو حكمة معرفية قابلة للتطبيق باستمرار..

وللأسف الشديد في حياتنا نتمثل كثيراً بالأقوال دون الأفعال ـ إلاّ من رحم الله ـ وأقصد في المواقف التي تتطلب تفعيل تلك الأقوال الحكيمة بأفعال واقعية وسداد فعلي!!

لقد قدم عظماء السلف كثيراً من التضحية النفسية والمادية في حياتهم وسلوكهم اليومي!

قيل: جاءت امرأة فسألت حاتماً الأصم عن مسألة، فاتفق أن خرج منها في ذلك الموقف صوت ريح فخجلت، فقال لها حاتم: ارفعي صوتك، وأرى من نفسه أنه أصم، فسرت المرأة بذلك وقالت: لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الأصم من تلك الحادثة، ولم يكن أصمّ وإنما أراها، أي أرى المرأة، أنه أصم ليستر ما جرى!!

فكان موقفه موقفاً موفقاً وموافقاً للتناسب في السلوكيات العامة. لقد كان حاتم من الصالحين الورعين والعباد الزاهدين..

ولقد لقبه معاصروه «أبو بكر الوراق» وهو عالم فاضل بعبارة دالة عليه..

«حاتم الأصم لقمان هذه الأمة».

فتأمل روعة هذه الأقوال الحكيمة والخصال الحميدة.

# العبرة من تاريخ الرجال

في تاريخ الرجال سير عذبة ومفارقات شخصية تدلل تدليلاً عجيباً على اختلاف مشارب العيش والحياة والتفكير والعمل والعلاقة الاجتماعية فيما بينهم وبين الآخرين من سائر الناس.

ولكن السمة الواضحة والتي تبرز في أعمالهم العلمية والأدبية، وهي آثارهم المعنوية والفكرية، هي سمة الرؤية إلى الحياة والفكرة فيها والعلم بها بفهم وإدراك ومعنى ومعرفة.. يشكل أولئك جميعاً استقلالية في أذواقهم ومسارات اتجاههم في العيش والتعايش والاجتماع والسلام الأسري، إضافة إلى النزعات العلمية الواعية وأساليبهم المختلفة في الفهم والتأليف والكتابة والإنشاء. فدلالات هذا العمل المعنوي على ذخائر العرفان ومناهل العلم وأشربة التفكير، حيث حصلوا وتلقوا وعلموا ودرسوا وألفوا وكتبوا، لهي إشارات واضحة إلى الركيزة العقلية الناجحة التي انغرست بالموهبة وتهذبت بالتحصيل والاستقراء فغدت عملية حياتية مارسوها من خلال الفكر والعلم والأدب وطبقوها معنوياً ومادياً في حياتهم ومجالات معاشهم واستقرارهم الاجتماعي.

وهناك هالة نورانية وليست كما يدّعي البعض أنها الهالة المصطلح بها على تهوين شأن بعض الرجال، هذه الهالة المقصودة هي التي سايرت حياة أولئك الأعلام من الرجال العارفين العلماء والأدباء والمفكرين ولم يصنعها لهم أحد، بل اتضحت بمرور الأيام كمنارة ومعلم يدلان على شيء اسمه العلم والمعرفة والدراسة والحفظ، إذ كان في هذا المجال المعنوي في مراحله الأولى لا بد من الذاكرة التي تستوعب وتحفظ وفي ما يليها من مراحل قادمة كان على العقل والتفكير أن يتفهما ويقوما بدور مهم في حياة هؤلاء الأعلام العلماء، وهذه محصلات حياة أولئك، وهي من البديهيات فيما نقرأ تاريخاً عنهم إذ إنها نتيجة حتمية، وكما نقول: من زرع حصد!

ولكن الأهم بالنسبة إلى غير هؤلاء منا ومنكم ومن الذين عرفوا وقرأوا لهؤلاء هو استنتاج واستنباط الخلفية والسر في ما نرى على صفحة التاريخ المقروء عنهم، وهو اعتبار فكرة الاستهداء والاستفهام بمعناهما الذي يراد من ورائهما إدراك العبر المعنوية والأفكار الحية التي عاشها الأعلام الرجال وكيف استطاعوا أن يعملوا عليها تطبيقاً من المعنى والمادة وعملاً عليها طبق الأسس والركائز الهادية لهم والمستنبطة من العلم والفهم والإدراك والعرفان، حتى أضحى التطبيق العملي مسايراً ومتناسباً مع حركات وخطوات هؤلاء، فلا غرابة أن يراهم الناس ويعرفوا عنهم ذلك سمعاً وفهماً ونظراً ويشاهدوهم بإنسان العين ورؤية البصر واضحين في حياتهم وبارزين في علاقاتهم الاجتماعية مع أنفسهم وأقاربهم والناس أجمعين آخذين ومعطين بالحق والعدل والإنصاف، متبادلين أمور الحياة مع الجميع في شؤونهم على أساس التفاهم والرضا والقبول.

ولا ريب في أن ما يعادل ثلاثة أرباع الناس ممن يعدون الأغلبية في عالم ما نطرح من الأفكار الثقافية الذين ننسب هذا العدد التقريبي ونصلهم بالثقافة وعالمها لا لعلاقتهم بها وهو الأمر المستبعد، ولكن لنقرب المسألة تقريباً يسهل علينا فهم القضية، أقول إن هذ النسبة المئوية لا تدرك إلا شيئاً واحداً هو الرضا والقبول ببعض شخصيات من الأعلام العلماء.. في الغالب حيث نقدرها حق التقدير،وهو إحساس شعوري أو لاشعوري كقيمة يعدونها للعلم، وإذا لم يكن الأمر كذلك فلدي سؤال: لماذا يتكرر الاستفهام في قضايا الأدب والثقافة القائل: لماذا نحن شعب لا يقرأ؟ أو يكون الكلام في صيغة تقريرية فنقول والكل يعرف ذلك: نحن مجتمع لا يقرأ.. عموماً وليس مختصّاً بدولة أو بأخرى في عالمنا الإسلامي الكبير!!

ولهذا ومثله كان من الواجب مراجعة الكثير من شؤون العلم والثقافة والفكر والأدب وطرح قضاياها بحثاً ومعالجة كلما قررنا نتيجة قرائية، لا في تاريخ وسير الرجال فحسب، بل فيما خلفوه لنا من تراث وعلوم ومعارف، لأن في استنباط أمور كهذه مجالاً واسعاً يتجدد من خلاله مفهومنا ومعرفتنا ولماذا تلك القضية المقررة، لا أن نقبل في غالب الأحيان بمسلماتها اللفظية والظاهرية منها. فالمعرفة المعاصرة الحقة هي التي ترتكز على الفهم الواضح والوعي المدرك اتصالاً بتراث العلم وتاريخه ومعاصرة لمتطلبات العصر والزمن الراهن.. ودعونا نتفهم!

# كيف نصل إلى المعرفة ؟

إن معرفة جوهر الأمور واستكناه أصلها لممّا يساعد بفعالية على تفهمها والداعي إلى حل مشكلها إن وجد، وخير من التعبير عن واقعها ومادتها بانفعال مصدور وشعور موتور، لأنَّ تعبيراً مثل هذا يشير بالدلالة القطعية إلى عدم وعي بما يحدث في ساحة كل منا وفي إطار واقعية الوضع الخاص بنا.

وهذا يتطلب ركيزة صلبة في الذات الباحثة عن هذه المعرفة كقوة دافعة للاستيعاب والتفهم والثبات بشكيمة قوية ترتاح لها النفس وتنسجم معها الروح حتى ترتكز المعنوية الإنسانية في صاحبها وتنطوي نفس هذا الإنسان وكل إنسان على شعور طيب وتنضاف روحية جديدة ومعنوية حية في ذاته، وهذا يعني اقتناعاً مركزاً وصلباً تجاه أي تشكيك قد يصادفه في معركة البحث عن المعرفة لفهم الذاتية ووعي الضمير في الساحة الكبرى ألا وهي الحياة!

وليت الواحد في كل فئة منا ومجتمع من مجتمعاتنا لكي يدرك شيئاً مما يقال، في موضوع مثل هذا المطروح، يتحلى بالمصابرة والمجاهدة ليصل إلى النقطة التي تشعره بالمعرفة المذكورة

والإدراك بموجبات الضرورة للفهم والاستيعاب في عالم المعنى ودنيا الأدبيات في حياتنا، فما بالك والأمر يتعلق بالأصول مما نعايشه والجوهر مما نعانيه والأساس الرئيسي في قضايانا وأمورنا المشكلية أو ذات المساس بحياتنا مباشرة! فالأمر لا يعني كماليات وأشياء ثانوية وإنما يشير عن قرب بما هو أهم من ذلك وأخطر وهو أهم حافز لتلك المعرفة وأقوى سبب يدعو إلى التأمل في مثل هذا التشوف نحو الفهم والوعي.

والجدير بالذكر هنا القول بضرورة كسر الحواجز المضللة والمحيلة دون رؤية الغاية من ورائها والنظر إلى خلفية الموضوع بوضوح وبلا رتوش أو غبش يعرقل الاتضاح، مما يساعدنا جدياً لوعي الذاتية في نفوسنا وجعلها تنساق للبديهيات من الأمور دون التردد السائب أمام الأشياء، وإنما البت فيها بكل ثقة ويقين واقتناع. لأن ذلك يعني الامتطاء لمركوب الحلول في علاج المشكلات، وكذلك يعني الثبات في قراراتنا حينما نتخذ لكل موقف ما يناسبه من التعبير والتدبير والقول المراد لذلك أو التفسير له انطلاقاً من تلك الثقة المدركة والقناعة الواعية لخلفيات الأمور.

ويصح ما يقال هنا لما يشاكله ويلائمه من أمثلة أخرى للقرارات واتخاذ المواقف من مختلف القضايا التي نعايشها ونحيا في ظلها تفكيراً حياً ذا جدوى طائلة وفائدة قصارى القول فيها إنها كنصيب الأسد!

وفي عالم من المعنويات كهذا يسر العائش فيه على افتراض ما يعيشه أي إنسان مع نفسه من معاناة وحديث أن يعيش اللحظة الزمانية والفكرية والحيوية في نطاق قدراته الفعالة وقيمه العليا ومعانيه الجميلة ليمارس من خلال ذلك التدريب الصحيح لما يمتلك

ملأً للفراغ وكسباً للوقت من الضياع أو صيانة النفسية الإنسانية من الاستكانة والتقوقع والبرود الداعي إلى التجمد أو وقف الحركة، وهذا مستحيل أن يقع إلاّ باستثناء حالات خاصة قد يصاب الإنسان خلالها بوجوب الكف عن ممارسة كهذه لتصحيح وضعه أو تقوية فعاليته انتظاراً للدورة القادمة لحركة التأمل والعمل الفكري لمعالجة السلبيات الطارئة أو تقبل طاقات جديدة في هذه الحياة الفعلية والعملية.

إن مجرد المحاولة لا تكفي ما لم يرافقها الدخول مباشرة في العمل على الممارسة والانخراط في السلك العملي القادر على التفهم بحق والوعي بإدراك تام لمختلف المعاني المبثوثة في ظاهر الأشياء، ولا يثني الناظر إليها أو عن إدراكها أمر من الأمور أو عائق من العوائق لأنه الوحيد الذي استطاع كسر الحاجز بفطنته وخرق الستار المفتعل أمام الكنز الغالي ألا وهو التفكير بجدية والمعالجة بواقعية والاعتراف بالأخطاء السابقة، وبدون هذا وذاك ليس بالإمكان تناول قضايانا وأمورنا بحيوية وفاعلية وواقعية!!! وبالتالي فالحل بعيد ما لم نع ونفهم!!

# وداعاً.. صاحب «الأديب»

نشرت جريدة «المدينة المنورة» في عددها ٦٧٨٠ يوم الجمعة ١٤٠٦/٢/١١هـ الموافق ١٩٨٥/١٠/٢٥م خبراً أدبياً مزدوجاً لوفاة الأستاذين ألبير أديب صاحب مجلة (الأديب) البيروتية، ود. عيسى الناعوري الأديب الأردني المعروف.. ومن مشيئة القدر أن يرحل هذان الأديبان الكبيران في ظرف عجيب.. جاء في الخبر «حين اشتد المرض على ألبير في مطلع هذا الشهر، وأحس بدنو أجله، وقع اختياره على د. عيسى الناعوري الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني ليخلفه في رئاسة تحرير «الأديب» ـ المجلة ـ وقبيل وفاته بلحظات أرسل رسالة إلى الناعوري يبشره بذلك، إلا أن الرسالة كانت ـ صوت النعي ـ لكليهما فقد توفي «ألبير» قبل أن يجف مداها ووصلت (لأعماق) ـ الأردن ـ ليعرف المعزون أن الناعوري توفي في تونس في اللحظة ذاتها مع «ألبير»».

لقد كان لمجلة «الأديب» دور كبير في تحرير الصحافة الأدبية والفكرية وكان ألبير أديب صاحبها قد أسسها عام ١٩٤٥م، وقد احتفلت نقابة الصحفيين اللبنانيين بتكريم المجلة وصاحبها وذلك بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على تأسيسها وكان ذلك عام ١٩٧٠م، وسارت مجلة (الأديب) على كتف ألبير ونفقته الخاصة إيماناً منه برسالة الأدب العربي الفكرية والثقافية الملتزمة والثابتة.. ولم تفت في عضده (الحرب

الطاحنة في وطنه لبنان) بل ظل يصدر مجلته انطلاقاً من تلك الرسالة.

هذه كلمة لا بد منها وقد رحل أديب الصحافة اللبنانية وشاعر الرومانسية الحديثة فيها، فلقد ظلت مجلة «الأديب» أربعين سنة متتالية في الصدور خدمة للأدب والفكر العربي، وكانت تحوي دراسات وبحوثاً ومقالات وقصائد شعر، عظيمة التناول، جيدة الطرح، وهناك باب طريف حوته مجلة «الأديب» وهو باب «الرسائل» الأدبية بين الأدباء بمختلف جنسياتهم وبلدانهم ينشدون فيها المودة بينهم والترابط الفكري والعلاقة الأدبية وهو الباب المسمى بـ(بريد الأديب). كما يوجد بالمجلة ـ عدا صلبها ـ باب (مكتبة الأديب) وباب (برقيات الأديب) أما كتّاب المجلة ففيهم أعلام كبار كعجاج نويهض ـ رحمه الله ـ الذي قام بنقل كتاب (حاضر العالم الإسلامي) من اللغة الإنكليزية إلى العربية، وكان الأمير شكيب أرسلان عليه رحمة الله قد علق عليه بحواش علمية مهمة ـ والأستاذ الراحل محمد عبد الغني حسن والأستاذ وديع فلسطين والدكتور محمد رجب البيومي من جمهورية مصر العربية، والأساتذة أحمد عبد الجبار ومحمد سعيد العامودي وحسن عبدالله القرشي ومقبل العيسى ومحمد علي السنوسي من المملكة العربية السعودية والدكتور محسن جمال الدين والأستاذ وحيد الدين بهاء الدين من العراق والأستاذ محمد العدناني والدكتور فوزي عطوي والأستاذ فارس سعد وفؤاد الخشن من لبنان والأستاذ الراحل البدوي الملثم وروكس بن زايد العزيزي وعبد الحميد الأنشاصي ومحمد سليم رشدان من الأردن ود. عبد السلام العجيلي والأستاذ عدنان مردم بك وعبدالله يوركي حلاق والشاعرة سلافة العامري (ابنة الأستاذ بشير العوف) من سوريا والأستاذ راضي صدوق والشاعرة أسمى طوبي من فلسطين وزكي قنصل وجورج صيدح ورياض معلوف من المهجر الأميركي وغيرهم وغيرهم كثير.

إن لمجلة «الأديب» فضلاً في دعم مسيرة الفكر الأدبي للصحافة

العربية خلال ما يقرب من نصف قرن، واليوم رحل صاحبها فهل تحظى برئيس تحرير يخلفه بعد وفاته ووفاة من رشحه لتحريرها من بعده؟ إن على الأدباء العرب ومثقفيهم هذه المسؤولية الرائدة والدور للقادرين على تحملها إحياء واستمراراً لرغبة الأديب الكبير ألبير أديب كرسالة فكرية طيبة تحمل الإنسانية الأدبية واللمسة الشاعرية الخافقة، والطموح النفسي الشامخ.

لقد لعبت «الأديب» دوراً إحيائياً رائعاً ولم يقتصر دورها على محض الأدب والشعر فحسب، بل كانت تحمل في طياتها أنباء العالم العربي الاجتماعية والثقافية والعلمية الحية والأخبار السياسية ذات العلاقة بهذه الجوانب الفكرية الحيوية.

وهكذا تبرز لنا مجلة «الأديب» كبرى المجلات الأدبية في العالم العربي الفريدة النوع كعلامة من علامات الثقافة العربية الفكرية والأدبية في العصر الحديث، والتي رصدت الدراسة والفكرة وبيت الشعر المبدع (تقليدي ومحدث) والرسالة الإخوانية الأدبية الرقيقة، والخبر الأدبي الطريف، والنقد البناء الهادف، وطرح الآراء الإنسانية والاجتماعية وفلسفة الصور الشعرية والنثرية وتصوير الكون العجيب والتعبير عن حياة الإنسان في هذه الدنيا.

إنها مسيرة السنين المزدهرة في عالم الثقافة العربية والإسلامية الملتزمة بالمبادئ الخيرة والقيم والمعاني الإنسانية السامية.

فوداعاً ألبير أديب وتحية للأديب المجلة والصحافة والفكر والنور.. وداعاً للكلمة الشاعرية ذات اللغة العربية الأم في لسان ألبير.. وداعاً يا قلم الفكرة والعبارة والأسلوب.. قليل من عرفك والأقل من قرأ لك.. لقد عملت بروية وصمت وهدوء، وها هي القافلة تسير وتلحق أنت بمن قد مضوا دون ضجة وودعوا دون تقدير واف أو تكريم يجدر بقيمتهم الإنسانية وقيمتهم الأدبية وأعمالهم الفنية المستحقة لكل وفاء وإشادة وتقدير.

# الثقافة الحقيقية

تراودني فكرة لا بأس بها في الثقافة أعتبرها قضيتها الأصل وحقيقتها الأم، ذلك أن كثيراً من الدارسين في الأدب يعتبرون الأزمة النقدية، من حيث هي معالم لغوية وأسلوبية وإبداعية، هي القضية النقدية الأساس والواقع للمشكلة الثقافية والأدبية بصفة عامة، وهذه نظرة محدودة لحقيقة واقع الثقافة الأساسي وقضيتها الأم..

وكان جديراً بالمثقفين اعتبار قضايا الثقافة الحياتية والإنسانية الفردية منها والاجتماعية هي المجال الحقيقي للطرح الثقافي في ما يكتبون وينتجون، وهذا أمر عريض الموضوع واسع الرقعة المعنوية والفكرية.

إن في الحياة الثقافية أموراً عدة يجب طرحها بدراسة فاحصة من الإنتاج الأدبي. ففي الشعر الصور والأفكار والمواضيع والدراسات والطروحات، وفي الأدب الفكر والاجتماع والتناول الإنساني العام، وفي القصة المعالجة وفي المقال البحث وهكذا إلى جانب الإبداع الأدبي والأسلوبي. فليست مشكلة الثقافة اليوم في الإبداع الفني مع

أن هذه قضية أدبية، لكن تحديد النظر النقدي إليها وصب قالب النقد عليها فحسب واتخاذ ذلك معيار الأزمة الأم لواقع الثقافة فهذا ما لا يعقل لا أدبياً ولا نقدياً ولا فكرياً أو ثقافياً!!

إن المشكلات الاجتماعية والنفسية والفكرية والعملية لهي كثيرة وباستمرارية الحياة الإنسانية لا بد من حدوثها فيها.. الأمر الذي يدعو الأدباء والكتّاب والمثقفين إلى معالجة هذه المشكلات بنظرة ثقافية وتناول أدبي ومعالجة فكرية. فالقارئ يهمه في الحياة ومنها الجانب الثقافي معالجة مشكلاته كإنسان وهو يهش للمثقف الذي يجس نبض عروقه الفكرية والنفسية والاجتماعية ويتحسس مشكلاته وأزماته في الحياة عامة، وهذه قضية غير جديدة لكن التذكير بها مع كثرة الاهتمام بالإبداع الأسلوبي جدير بالطرح.

ولا شك أن هناك قضايا خاصة من صلب الثقافة هي مجالات للكتابة والإنتاج بالإضافة إلى المشكلات الإنسانية في الحياة الفردية والاجتماعية ينبغي تناولها كما هو معروف، ولكن للإنسان كقارئ اهتماماته الشخصية والحياتية علمياً وثقافياً أدبياً وعملياً فكرياً واجتماعياً، وهذا مجال رحب لا يطرقه إلا الكتّاب الاجتماعيون، أما جل المثقفين والأدباء فهمهم الإبداع للأسف والفن الأسلوبي والكتابة الأدبية المحضة مع تأكيدي مرة أخرى أن هذه قضية أيضاً، لكن ما الفائدة من صورة بلا مضمون وكلام بلا فكرة ومذهب بلا غاية؟

إنها فكرة أطرحها للتداول الثقافي لدى الأدباء والمثقفين ورجال الأدب والفكر. فالثقافة الحقيقية هي ما لامست فؤاد الإنسان كحي وضميره كفرد وتفكيره كعاقل يعيش في هذه الحياة الرحبة. والإنسان العربي المسلم في ثقافته له همومه وأزماته ومشكلاته

وهذا أمر جدير بالتناول والطرح لعل التفاعل الثقافي يؤدي دوره في قضايا الحياة الإنسانية العربية المسلمة بفكرة بناءة وموضوعية هادفة ومنطقية مقنعة، لا أن نحدد أطراً معينة للثقافة ونقول إنها قضيتها الحقيقية أو واقعها الأساسي. إن الحياة هي قضية بل إنها أم القضايا فلماذا لا نحل مشكلاتها ونحلل تعقيداتها ونسهل صعوباتها؟ وهكذا يجدر بالمثقفين تناول الحياة ككل لا كأجزاء ومقطعات وأبعاض. إن أزمة الأمة بحاجة إلى إحياء لروح يسعد ضميرها وفكر ينعش بأسها وحيوية تحركها من الغفلات والأخطاء.

وهذه قضية من عدة قضايا يتحمل دورها المثقف ومأمور بحلها الأديب ومسؤول عنها المفكر. ليست الثقافة والأدب صوراً حسية أو خواطر فردية كلا إنها أفكار حية ومعانٍ واقعية من الحياة الإنسانية الواسعة العامة، إنها طروحات فكرية وثقافية حيوية ناهضة وفكر نير سامٍ وغاية نبيلة لإسعاد البؤساء وحل مشاكل المهمومين والتعساء والأخذ بيد الجهلاء للعلم والأشقياء للسعادة والمساكين للسكينة وحسن الحياة وجميلها. اتخذوا هذه أيها المثقفون قضاياكم في ما تكتبون وأفكاركم في ما تنتجون ومعانيكم حين تؤلفون، أما النزف الحسي في الأدب فتجنبوه والفن الأسلوبي والإبداعي ليس كل شيء في الثقافة والأدب، هناك الحياة بما شملت وحملت وفيها الإنسان بجميع قضاياه والدنيا بمشكلاتها الجمة، بعدها ستكون ثقافة حقيقية وأدب واقعي وفكر إبداعي وقضايا ثقافية صحيحة ونقد هادف ودراسات حية ناهضة بالفكر العربي المسلم الذي يشهد في حياته عديداً من القضايا والشؤون والشجون تدعو المثقفين إلى تناولها.. وما أكثرها!!

# القيم الإنسانية.. والدين..

في الحياة الإنسانية قيم جميلة ومثل سامية ومبادئ حسنة.. والإنسان الحي الضمير يرى أن هذه القيم منسجمة مع طبيعة حياته البشرية ذلك أنه مدرك لأخلاقيات النفس الإنسانية في الحياة. ولا شك أن الإنسان الآخر الذي يحتقر قيم الحياة الإنسانية هو ذو نشاز في أخلاقياته وقيمه وضميره، ولذلك وجد الأدب الأخلاقي في الحياة «حياة الإنسان ووجدت قلة الأدب وقلة الأخلاق أو سوؤها..» وقد انسجمت القيم الجميلة في حياة الإنسان مع الدين الإسلامي - على وجه الخصوص - لأن الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق وتمثل تعاليمه القيم والمبادئ والأسس الخيرة خير تمثيل في الحياة البشرية والمعاش الإنساني في الأرض.. وليتصور الإنسان في هذه الحياة الأرضية سلوكاً بلا أخلاق ولا قيم كريمة، أليس في هذا السلوك اعوجاج وسوء وجهة..؟ بلى.. الأمر الذي يدعو الإنسان المسلم إلى تمثل القيم الجميلة في حياته السلوكية ومعاشه الحياتي في الأرض والتخلق حين الكلام والعمل والتفكير والمعاملة مع الناس بهذه القيم الخيرة والأخلاق الكريمة.. والقيم الإنسانية نسبة إلى الإنسان المأمور بتطبيقها في حياته والمنسجم معها

والمتلائم وإياها.. ودينه الإسلامي شرع ذلك وعلمه بل أوجب اتخاذها رمزاً في السرّ والعلن في سلوكه الحياتي ومعاشه الدنيوي والتعامل مع سواه من الناس في مجتمع حياته عامة.. إن الإنسان بلا قيم يعيش حياة بلا معنى ومادة بلا روح وسلوكاً بلا عمل حقيقي نزيه وتعاملاً يفقد الأهمية والصواب والسكينة.. فهو إذن ـ ملزم باتخاذ كل قيمة كريمة مسلكاً ودرباً وكل خلق نبيل حياة وسلوكاً في عيشه ودنياه وأرضه.. لأنه الإنسان العاقل السوي الخلقة، المهذب الضمير بالفطرة الإنسانية الأصيلة في كيانه الروحي والمادي... فهو إذن معد لتطبيق هذه القيم وهذه الأخلاق في حياته الخاصة والمتعلقة مع سواه في الحياة الأرضية الإنسانية البشرية.. فليس بمقدوره التنصل من هذه التبعة والمسؤولية وهو غير معذور البتة في تطبيق هذا الدور السلوكي والأخلاقي.. بل إن استمراريته في الحياة والمعاش لدعوة وداع إليه للمضي في هذا السبيل الحيوي البناء بلا ملل أو تنصُّلٍ من تحمل القيم وتمثّلها في الحياة العامة، وليس في هذا الواجب الأخلاقي أي أثقال أو تثقيل للإنسان في حياته لأن القيم أساساً طبيعة الحياة الروحية وهي الحياة المنسجمة مع الجانب المادي فيها وفي الإنسان نفسه خلقاً وأخلاقاً طبعاً وتطبعاً جسماً وروحاً وقلباً وقالباً وأدباً وتفكيراً.. وعلماً وعملاً في حياته الإنسانية البشرية.

القيم الإنسانية والدين أمران حيويان في حياة الإنسان المادية والروحية وهما الرهان الجميل الهادف في البلاء الحسن للإنسان في هذه الدنيا.. فدنيا الإنسان وحياته مزينة بالأخلاق وقيمها والمعاني الجميلة ومثلها والمبادئ الخيرة وأسسها، كل ذلك في الإسلام الدين الخالد والرسالة العظمى في المعمورة والكون الواسع. إن التعاليم بخصوص الدين والقيم معروفة والمطلوب العمل بشأنها

مباشرة من الروح للجسم ومن العلم للعمل ومن النظريات للتطبيق في حياة يغشاها الصواب والحسن والخير والإحسان. فهذه الحياة هي المنشودة في دنيا الإنسان وفي مثله الخيرة السعيدة لعيش أفضل وحياة عليا مترفعة عن الدنايا والسقطات.. وعلى العقال من الناس بعد معرفة ذلك الدعوة إلى السلوك بها عملياً في الحياة مع الناس أجمعين كباراً أو صغاراً.. ذكوراً أو إناثاً.. أقربين وأباعد. والبدء حسن مع النفس والذات ومن ثم تعميم ذلك انطلاقاً من دعوة الخير في دين الإسلام الخالد وفتح باب المعروف في الحياة الإنسانية عامة.. وقد عبرت بعض الآيات القرآنية والأحاديث الكريمة وبعض الشعر العربي الإنساني عن الدعوة إلى الأخلاق ومكارمها.. قال تعالى واصفاً نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ وفي هذا وجوب التحلي والاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم. أما الحديث النبوي فمعروف بقوله الكريم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»..

وقال أحمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت    فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال حافظ إبراهيم:

العلم إن لم تكتنفه شمائل    تعليه كان مطية الإخفاق

وقديماً قال النابغة الذبياني:

ولست بمستبق أخاً لا تلمّه

على شعث أي الرجال المهذب

# القيم الروحية
# ركيزة في البناء الحضاري

---

تتأسس حضارة أي أمة في بيئة اجتماعية ناضجة تشبعت بالعمل البناء والتجارب العلمية والنضج الفكري والرسو الاقتصادي والتعقل البشري في القيادتين الاجتماعية والحكومية.

ولعل الحضارة العربية الإسلامية قد بنيت على قواعد من هذا اللون من النضوج الإنساني في جميع الجوانب والمجالات. واستطاعت هذه الحضارة - بالحكم العربي الإسلامي - التأثير في مسيرة الفكر الاجتماعي للأمم الأجنبية خارج العالم الإسلامي إلى حد أن الحضارات الإنسانية الحديثة - بعد انطفاء عالمية المسلمين حضارياً - برزت وفي شكلها الطابع الحضاري للأمة العربية المسلمة، مميزاً متأثراً ومعلناً تلمذتها على العقلية الإسلامية البناءة.

إن كثيراً من الأسس التي تبناها الأقدمون من أمتنا لا تزال متوفرة في فكرنا العربي المسلم المعاصر، وإن الإمكانيتين القيمية والمادية دعامتان أساسيتان لرقي المجتمع الصاعد إلى الحضارة وعالمها الرحب.

ولعل الجهود العلمية المتخصصة في جميع المؤسسات التربوية التعليمية في العالم العربي الإسلامي اليوم وبسند الدعم السياسي لدوله وأقطاره في المجال الحضاري لممّا يبعث الأمل على تمييز التقدم التقني في هذا العالم واستقلالية الفكر التحضري لشعوبه ما

يعيد إلى الأذهان حتمية التاريخ للعودة إلى النور المتوهج في عالم العروبة والإسلام. ولا شك أن هناك عناصر ينبغي تجديدها لمسايرة العصر الحديث، وهذا يكون فكرياً في التخطيط ومادياً في التمويل واجتماعياً في العلاقات الدولية والإنسانية العامة. لأن الركائز والمادة والتنافس عوامل لبناء كل رقي حضاري إنساني. وعلى هذا فالمنطق الحي للتفوق الفكري والتجربة العلمية والقدرة البشرية قد أزف وقته. ولا أدل على ذلك من المشاركة العربية الإسلامية على المستوى العالمي في المجال الفضائي والسياسي والروحي. الأمر الذي يجعلنا نعلق الآمال في المستقبل المشرق القريب لأمتنا، ولو أن الطريق للوصول إلى هذا الإشراق الحضاري وعر وصعب تكتنفه بعض العثرات، والقضاء عليها يأتي من التطبيق العلمي والإنجاز العملي والتفكير السوي البناء للأمة بمختلف طبقاتها ودولها وأناسيها.

إن القيم الروحية لدين هذه الأمة والعدة المادية لها والركيزة السياسية في قيادتها لأمور يجب تطبيقها عملياً في البناء والعمل الحضاري. وإن القضاء على المشكلات بمختلف نوعياتها أمر حيوي وضروري في هذا الصدد، وإن التنظيم البشري وسيلة أخرى للأخذ بالمجتمع العربي المسلم نحو الوعي الحضاري. كل ذلك شأن أساسي يجب الأخذ به عند التفكير في التنمية الحضارية.

وزيادة الخبرات والتجارب الأساسية ونشر العلم التقني أمور حتمية لصنع رجال الحضارة المأمول فيها مستقبلاً، لأن الرجال هم البناؤون العاملون لهذه الحضارة، ولا تتأتى حضارة ما بلا رجال ينشئونها ويتفاعلون مع حياة التفكير والتصنيع في بيئاتهم ومجتمعاتهم وأرضهم ما يصعد جهودهم الإنسانية في القضاء على كل المعوقات للتقدم الحضاري، فقد سئم التفكير الاجتماعي لدينا من الحديث عن التخلف! فهل من وجهة أخرى لهذا الفكر تقدمياً وحضارياً؟!!

# رسالة الحياة في الأدب

للحياة الأدبية والثقافية قضايا وطروحات ورسائل وأدوار يدركها الأديب الحق والمثقف الأصيل والناقد الواعي. وللأدب والثقافة حياة معنوية ومعاش فكري ومجال للقيم الكريمة والمعاني الخيّرة والأفكار النيّرة في هذه الدنيا الرحبة.

إذ للحياة الدنيوية ـ بالإضافة إلى الدين ـ قيمها الحيوية السامية معنوياً وفكرياً وأدبياً، فتتهذب بها النفوس وتزكو عبرها الأرواح وتصفو الذات الداخلية لكل الناس.

إذاً فالحياة مجال عريض ومتسع لجولة الأدب الثقافي بالتعبير والتصوير تارة وبالتذكير والتفكير تارةً أخرى، في إطار قيمها ومعانيها وأفكارها، وفي عمق جوهرها المعنوي الراسخ. فالحياة المعنوية معدن للأدب وخامة للثقافة وذخائر لكليهما وطاقات لمسيرتهما في الاتجاهات الفكرية لكل منهما وفي وجهات نظر الأدباء والمثقفين نحو شؤون الحياة وأمورها علماً وعملاً ومادة وروحاً وأدباً وفكراً.

والإنسان بنفسه ذو قيم وعندما يتثقف يزداد روحاً معنوياً ويسمو فكراً حيوياً ويصفو ذاتياً ويتطهر. فالإنسان ذو الثقافة يتفكر بثقافته لمعاني الحياة وقيمها وأفكار العيش والمسار الحياتي في الدنيا،

ومن ثم يشارك أفراد مجتمعه للسمو بتفكيرهم والنهوض بهممهم والرفع من عملهم مادياً ومعنوياً نحو الأفضل. وليكن المثقف جديراً بالإسعاد الإنساني والمشاركة الفعالة في المجالات الحياتية للناس فردياً واجتماعياً، حيث من المتصور أنه يحمل أفكاراً عليا ومعاني سامية وقدرات هادفة للخير والحق والبر والإحسان. وبإزاء هذه المقدرة والاستطاعة كان الدور الثقافي عليه باهظاً والأمانة كبيرة والمسؤولية صعبة وضخمة. وعليه الحد من الصغائر وتكبير نفسه حين المغريات والترفع عنها والتعفُّف بروحه من الدنايا والتنزه عن سفاسف الأمور، لكن له حق الإكبار بإنصاف والحق الأدبي ضمان له لتحمله المسؤولية نحو القيم التي يرعاها في مجتمعه وأمته حيث جعل من نفسه راعياً مسؤولاً ومثقفاً يعرف دوره في الحياة الإنسانية العريضة حين السراء والضراء، للأقربين والأباعد والكبار والصغار والذكوروالإناث برؤية صافية ونظر صائب ونفس قنوع وروح عالية.

إن قيم الحياة في الأدب والثقافة مجال لأداء رسالة الأديب المثقف في مجتمعه ومكان لطرح أفكاره ومعانيه من خلاله، حيث يصب في هذا المجال تصوّره نحو الحياة وتفكيره فيها ونظره إليها وانطباعه عنها وهدفه فيها.

وهذا أمر ليس عارضاً بل هو دور رائع يقدمه نحو الأمة التي ينتمي إليها والمجتمع المنسوب إليه والبيئة التي يعايشها، وله أن يتخذ الوسائل المؤدية لدوره والمكملة في نظر المسؤولية الحقة لتحقيق غاياته وأهدافه وآماله.

إنها رسالة الحياة وقيمها في تفكير الأدب والثقافة على الأديب المثقف تحملها بمسؤولية بعد الإدراك والوعي بها، وإنه لجدير بهذه الرسالة يؤديها بأمانة ونزاهة وعدل وخير وحق وإتقان وإحسان، عندها يؤدي المثقف الأديب دوره حياةً ومعاشاً ويحيا دنياه سعادة وحضارة يحققهما لأمته.

# من أسباب تأليف طه حسين كتابه عن الأدب الجاهلي

تعجله الشهرة كان السبب.

قرأت بحثاً جيداً بعنوان (طه حسين والشك في الشعر الجاهلي) بقلم الباحث أحمد عزيز حسين، المنشور في مجلة (الثقافة) السورية التي يرأس تحريرها الأستاذ مدحت عكاش في عدد آذار ١٩٧٨م.

وقد تطرق الباحث بعد سياق بحثه عن شك طه حسين في الشعر الجاهلي على طريقة شك الفيلسوف الفرنسي ديكارت وإن كان طه حسين أساء استخدام طريقة الشك هذه أسوأ استخدام كما أشار الباحث. ومن المعروف أن طه حسين ـ عليه رحمة الله ـ قد واجه انتقاداً شديداً لا لرأيه حول الشعر الجاهلي فحسب بل ما تبع ذلك في مسارات بحثه في شكه بكتابه ـ في الشعر الجاهلي ـ الذي أنكر فيه حقيقة وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. ثم وبعد صدور الكتب التي انتقدته وفي مقدمتها كتاب أديب العربية العظيم مصطفى صادق الرافعي (تحت راية القرآن: أو المعركة بين القديم والجديد) والذي صدر في عدة طبعات، غير طه حسين بعض فصول كتابه وأسماه من بعد باسم (في الأدب الجاهلي) الذي اتضح فيه أن طه

حسين لا يزال يرى بشرية القرآن اتباعاً لرأي المستشرق الفرنسي مرجليوث.

وأعود إلى موضوع السبب الرئيسي لتأليف طه حسين كتابه عن الشعر الجاهلي، فهو كما ورد في بحث الكاتب أحمد عزيز حسين في المجلة المشار إليها في بداية الحديث يقول:

لقد عد الدكتور ـ ناصر الدين الأسد ـ في بحث له بمجلة الكاتب المصرية عدد ١٧٠ طلب الشهرة سبباً رئيسياً في إصدار الكتاب. وهذا التحديد قد يثير استغرابنا لأول وهلة، ذلك أننا لا بد أن نتساءل: هل كان طه حسين بحاجة إلى الشهرة.. عاجزاً عن بلوغها لولا موقفه الرافض من الشعر الجاهلي؟!!

ويجيب الباحث أحمد حسين على تساؤله بقوله:

والجواب: أن طه حسين ـ على قول ناصر الدين الأسد ـ لم يكن عاجزاً عن بلوغ الشهرة ولكنه كان متعجلاً لبلوغها.

فأحد عشر كتاباً يصدرها مؤلفها قبل بلوغه الثلاثين منها مؤلفاه (مستقبل الثقافة في مصر) و(قادة الفكر) (أي الفكر اليوناني) وكتاباه المترجمان عن اليونانية كافية لتبوؤ صاحبها مركزاً مرموقاً في عالم الأدب في مصر، ولكنه لم يكن مقتنعاً بشهرته المحلية.. إذ كان عصره غاصاً بالكتّاب المرموقين أمثال: مصطفى صادق الرافعي ومحمد حسين هيكل والعقاد.. وقبوله بمركزه ككاتب مبرز فقط بين كتّاب يشار إليهم بالبنان لم يكن حلمه المنشود بأن يصبح كاتب العربية الأكبر، ومن هنا ـ في رأيي ـ كان لجوؤه إلى مخالفة ما أجمع عليه الناس.

# الحق أحق أن يتبع

الحق كما هو واضح أبلج بيِّن السمات متكامل الصفات وهو كما قيل أحق أن يتبع في كل الظروف، وليس للإنسان العاقل خيار أمامه بين الحق وسواه من الزخارف والمظاهر الخلابة غير أن يتخذ من هذا الحق نصيبه يرضى به ويفرح ويجعله حظه المحظوظ ونيله المطلوب.

فمنه يتضح أول ما يتضح الصواب والوضوح في القصد.. القصد العام في شؤون وأمور الحياة الصغير منها والكبير والقصير والطويل والمعروض والخفي والظاهر والمخبوء.

ثم هناك الاطمئنان إلى جانب الحق فتغدو النفس الإنسانية بالهدوء والراحة التامة نظراً لما لقيته من جانب الحق من استقرار وطمأنينة وهدوء وثبات. فالثبات من الحق هو حقيقة الحق وجوهره المضيء وهو ظاهرة خفية بقدر قوتها على الثبات والاستقرار والرسو، تكون استمراريتها ويكون بقاؤها دائماً ديمومة الحق نفسه على البقاء والثبات والرسوخ. فما أروع أن يتكلم الإنسان بالحق ويفكر به ويغدو ويروح من شأنه. وما أروع الحياة وما أبدعها حين تسير على الحق في كل الدروب والسبل والطرقات. ما أنظر الحق هو غال غلاء النضار والذهب غلاء الحقيقة الدالة على الصواب

والعدل والإنصاف والمساواة..

إن أغلى قيمة في القيم وأثمن مثل في المثل وأغلى غاية في الوجود هي اتباع الحق المقسوم بين الناس في حياتهم ومعيشتهم وأعمالهم وحظوظهم ومطالبهم وحركاتهم وسكناتهم. فالحق أمل الفكر والعقل والقلب والفؤاد والشعور والإحساس.. أمل هذه جميعاً لإقرار واتباع ناموس الحياة وقانونها ونظامها المنزل من السماء للأرض كدستور معيشة ونظام حياة.

الحق فضيلة كلما وجدت في النفس أذكاها العقل بالحماسة وكلما سايرت القلب أبرزها اللسان بالإنصاف والعدل والمساواة، وطالما أظهرت حقوقاً ضائعة وطمأنت قلوباً هالعة ونفوساً غير مستقرة وأبرزت حلولاً منصفة عادلة لمشكلات واردة مختلطة تكاد لتباين سبلها يضيع الحق فيها لأن النابل قد اختلط بالحابل فيها وادعى الحق من لم يكن له نصيب فيه. لقد أسمى الله جل وعز نفسه «بالحق» ضمن أسمائه الحسنى ودل خلقه للوجود على الحق وكانت عبادة المخلوق لله حقًّا وحقيقة وكان الوحي على رسل الله كلام الله الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهكذا كان الإسلام هو الدين الحق إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين، والنبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه وآله حق كخاتم لرسل الله، وهذه الأمة التي قال القرآن فيها ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ كما قال: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ وهي أمة الحق والعدل والإنصاف.

# العقل والحلم.. معدن واحد

لعل من نافلة القول أن يتكلم شخص ما عن العقل وقيمته لدى الإنسان، لأن الإنسان نفسه لا يكاد يبدي حراكاً إلاّ بتصرّف جسدي وفكري. وليس من سبيل إلى القول إن الناس متساوون في نسبهم العقلية، ولا شك أن أرفعهم مقاماً هم الدهاة.. وعندما نتصفح تاريخنا المجيد نفاجأ بأخبار الدهاة والعقلاء العرب مسطّرة بمداد من نور. ويجب ألاّ يهمل المتصفح بأن دين الإسلام هو دين العقل، وفي الحديث (أن جبريل عليه السلام أتى آدم عليه السلام فقال له: إني أتيتك بثلاث فاختر واحدة، قال: وما هي يا جبريل؟ قال: العقل والحياء والدين. قال: قد اخترت العقل، فخرج جبريل إلى الحياء والدين فقال: ارجعا فقد اختار العقل عليكما، فقالا: أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان)..

وإذا كان الإسلام دين العقل فإن الحياء من الإيمان كما جاء في الحديث الشريف أيضاً.. وواضح مدى أهمية هذه الأركان الثلاثة التي تربط حياة الإنسان تنسيقاً وتهذيباً.

وحديث جبريل ـ عليه السلام ـ الذي سبق إيراده، ذكره ابن قتيبة الدينوري الأديب والراوية المشهور في كتابه (عيون الأخبار) وفي

باب العقل بالتحديد. وقبل أن نذهب مع ابن قتيبة في بعض أخبار هذا الباب أود الإشارة إلى مكانة كتابه الضخم مادة وحجماً.

أورد الدكتور عبد الحميد سند الجندي في كتابه (ابن قتيبة: الناقد.. الأديب) رواية عن العلامة السمعاني في كتابه (الأنساب) وهي «سمعت الأمير أبا نصر الميكالي يقول: تذاكرنا المتنزهات وابن دريد حاضر، فقال بعضهم: أنزه الأماكن غوطة دمشق، وقال آخرون: بل نهر الأبلّة، وقال آخرون: بل سغد سمرقند، وقال آخرون: نهروان بغدان، وقال بعضهم: شعب بوان بأرض فارس، وقال بعضهم إلخ، فقال الأمير: هذه متنزهات العيون، فأين أنتم من متنزهات العقل؟ قلنا: وما هي يا أبا بكر؟ قال: عيون الأخبار للقتيبي».

وإذا عدنا إلى ذكر باب العقل في عيون أخبار ابن قتيبة فإننا نجده يذكر أن زياد ابن أبيه قال: «ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع ولكنه الذي يحتال للأمر ألاّ يقع فيه» ويذكر أيضاً: «قال معاوية لعمرو: ما بلغ من دهائك يا عمرو؟ قال عمرو: لم أدخل في أمر قط فكرهته إلاّ خرجت منه. قال معاوية: لكني لم أدخل في أمر قط فأردت الخروج منه» وقصة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهما تفسر لنا القول الوارد عن زياد ابن أبيه سابقاً، والحق أن هؤلاء الثلاثة بإضافة المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - إليهم هم دهاة العرب، أربعة: معاوية للأناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد ابن أبيه للصغيرة والكبيرة. بينما نجد الأصمعي يقول: الدهاة أربعة: معاوية للروية، وعمرو بن العاص للبديهة، والمغيرة بن شعبة للمعضلة، وزياد لكل كبيرة وصغيرة، علماً بأن الإمام الشعبي قد توفي قبل ميلاد الأصمعي (راجع أعلام

الزركلي). ولا يهمنا اختلاف الروايتين.. البسيط بقدر ما يهمنا إجماعهما على وصف معاوية وعمرو والمغيرة وزياد بالدهاء. ومن يقرأ في تاريخ هؤلاء الرجال الأربعة سيعرف الكثير من أخبارهم العقلية السامية.

وماذا عن الحلم؟ وهو نديد العقل؟ ففي لسان العرب أن العقل هو: الحِجْر بكسر الحاء وتسكين الجيم - والنُّهى - بضم النون ضد الحُمق - بضم الحاء وتسكين الميم.

وفي اللسان أيضاً: الحلم، بالكسر الأناة والعقل، وجمعه أحلام وحلوم وفي التنزيل العزيز ﴿**أم تأمرهم أحلامهم بهذا**﴾ قال جرير:

هل من حلوم لأقوام فتنذرهم
ما جرب الناس من عضّي وتضريسي

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الجماعة: ليليني منكم أولو الأحلام والنهى: أي ذوو الألباب والعقول، واحدها حِلم بالكسر وكأنه من الحلم الأناة والتثبت في الأمور وذلك من شعار العقلاء.. هذا ما ذكره لسان العرب في مادتي (عقل) و(حلم). وواضح هذا الاتفاق في معنى العقل والحلم، فالحليم لا يكون إلاّ عاقلاً. ومن السهولة الآن أن نأتي إلى باب الحلم والغضب من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله. وأخبار الأحنف بن قيس التميمي هي السائدة في هذا الباب، وفي المثل: أحلم من الأحنف ومن أقواله التي يذكرها ابن قتيبة: «أصبت الحلم فانتصر لي من الرجال» وقد قيل له: ما أحلمك. قال: تعلّمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري بينا هو قاعد بفنائه، محتب بكسائه، أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف وقيل له: هذا ابنك قتله ابن أخيك، فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المجلس، فقال له: قم

فأطلق عن ابن عمك ووار أخاك واحمل إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة. ثم أنشأ يقول:

إني امرؤ لا شائن حسبي ... دنس يغيِّره ولا أفنُ
من منقر في بيت مكرمة ... والغصن ينبت حوله الغصنُ
خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعفّة لُسنُ
لا يفطنون لعيب جاءهم ... وهم لحفظ جواره فُطنُ

ثم أقبل على القائل فقال: قتلت قرابتك، وقطعت رحمك، وأقللت عددك، لا يبعد الله غيرك.

وفي غير هذه الرواية يؤكد الأحنف أنه تعلم الحلم من قيس بن عاصم فيقول: لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحلم كما نختلف إلى الفقهاء في الفقه. ومن أخبار الأحنف المشهورة أن رجلاً شتمه وجمل يتبعه حتى بلغ حيّه، فقال الأحنف: «يا هذا، إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره». وهنا يأتي استخلاص الفارق في الربط بين العقل والحلم بأنهما توأمان أو أنهما من معدن واحد.

# الفهرس

الإهداء ____ 5
مقدمة ____ 7
التفوق الثقافي ____ 9
النبوغ الأدبي ____ 13
من أدب التاريخ الإسلامي ____ 17
التاريخ الإسلامي: تراثه وثقافته ____ 21
الكلاسيكية.. أدب خالد ____ 25
التراث الأصيل بجانب الثقافة المعاصرة ____ 27
الحضارة الإنسانية والفكر ____ 29
الأدب والحضارة ____ 32
في الحضارة والأدب والإنسان ____ 36
الأدب والفكر الإسلامي ____ 39
الأدب بين الفكر والثقافة ____ 43
ثقافة الأدب ____ 47
أدب الثقافة ____ 51
حياة الأدب ____ 55
الثقافة قيمة نشاطنا ____ 59
أزمة أدباء لا أزمة أدب ____ 62
في الثقافة الإسلامية المعاصرة ____ 64

الدور الثقافي 67
يموت في الثقافة 70
الأدب والمرأة 72
الفكرة الثقافية والحياة الاجتماعية 75
تجربة علمية 77
هل لغة الإعلام العربي متغيرة؟! 79
تنبيهات اجتماعية 81
ظاهرة التعالم آفة اجتماعية 84
التأثير السلبي لأمية المثقفين 86
حياة المتقين 89
أعلام القرآن 91
الرؤية الثقافية لمقدمة ابن خلدون الاجتماعية 93
المثقف الذي فقد الأثر..!! 96
المجمع اللغوي.. حاجة ملحّة 100
ثقافتنا في وجه التحديات 103
أزمة قراء.. لا أزمة كتاب 106
وحدة الأدب العربي 108
رؤية في معالم الأدب الإسلامي 110
ظاهرة غابت..! 112
البركة 114
مواقف معرفية 116
تاريخ المجتمع المسلم 118
النقد الذاتي 120
الفضائيات في حياة الأمة.. 122
واقع الأمة 124

الفكر السياسي ____ 126
فكرة المقدمة الكتابية ____ 128
مآثر العرب على حضارة الغرب ____ 131
ما خلا العلم، فإنه يعز إذا كثر! ____ 134
علي أحمد باكثير رائد الفكرة الإسلامية في الرواية والمسرح ____ 137
في اتجاه التاريخ ____ 140
الكاتب والفكر ____ 142
خطر اليهود على فكر المجتمع المسلم ____ 144
سيد قطب ____ 147
حياتنا بين ماضٍ وحاضر ____ 149
كيف نواجه افتئات الإعلام على الأمة؟ ____ 152
نحو مستقبل مأمول ____ 156
التفسير المادي ____ 159
أحمد صدقي الدجاني.. والمرحلة ____ 161
تكامل دين الإسلام ____ 163
هل تشهد الإنسانية وضعاً جديداً؟ ____ 165
بين الكريم واللئيم ____ 167
تأصيل الحياة اليومية(1) ____ 169
تأصيل الحياة اليومية (2) ____ 172
العبرة من تاريخ الرجال ____ 175
كيف نصل إلى المعرفة ____ 178
وداعاً.. صاحب «الأديب» ____ 181
الثقافة الحقيقية ____ 184
القيم الإنسانية.. والدين.. ____ 187
القيم الروحية ركيزة في البناء الحضاري ____ 190

رسالة الحياة في الأدب ________ 192
من أسباب تأليف طه حسين كتابه عن الأدب الجاهلي ________ 194
الحق أحق أن يتبع ________ 196
العقل والحلم.. معدن واحد ________ 198
الفهرس ________ 203